

مطبوعات أفريقية آسيوية
(٢٢)



الاسم — تعار الصهيوني في فلسطين

بقلم

الدكتور فايز صايغ

مركز البحوث
بمنظمة التحرير الفلسطينية

م. محمد فوزي
ج. بالمستشفى الملكي المصري

مطبوعات أفريقية آسيوية

(٢٢)



General Union of the Arab Students (GOAL)
الجمعية العامة للطلبة العرب

الاســــــــــــتعــــــــــــار الصهيــــــــــــوني في فلسطين

بقلم

الدكتور فايز صايغ

قامت بالنشر السكرتارية الدائمة
لمنظمة تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية
٨٩ عبد العزيز آل سعود - منيل الروضة
القاهرة - ج ٠ ع ٢

فهرس

صفحة

مقدمة	٥
١ - الاطار التاريخى للاستعمار الصهيونى	٧
٢ - التحالف بين الامبريالية البريطانية والاستعمار الصهيونى	١٧
٣ - طابع دولة المستعمرين الصهيونيين	٢٨
أ - العنصرية	٢٨
ب - العنف والارهاب	٣٩
ج - التوسع الاقليمى	٤٢
٤ - رد فعل الفلسطينيين : من المقاومة الى التحرير	٥٠
الخاتمة : تحرير فلسطين	٦٠

مقدمة

لقد شاهدت العشريتان الأخيرتان انهيار الاستعمار الأوربي والقضاء التدريجي على الاستعمار الاستيطاني الغربي في قارتي آسيا وإفريقيا • وقد شاهدنا كذلك قيام نوع جديد من الاستعمار الاستيطاني في منطقة التقاء هاتين القارتين • وهكذا نرى أن اختفاء هذه الحقبة من التاريخ التي تتسم بالوحشية والعار قد اتفقت زمنيا مع ظهور مولود مشوه جديد للامبريالية الأوروبية ولنوع جديد من أنواع الاستعمار الاستيطاني العنصري •

ويعتبر مصير فلسطين هكذا نوعا من « الشذوذ » إذ أنه تحول جذري لمجرى تاريخ العالم المعاصر • ففي الوقت الذي تحقق فيه لعدد كبير من الأمم والشعوب الثمتع بحقوقها في تقرير مصيرها كان الشعب العربي في فلسطين يعاني من عدم قدرته على الحيلولة دون اتمام عملية الاستعمار المنهجية التي فرضت عليه منذ عشرينات عديدة سابقة • وقد تميز هذا التطور بنزع ملكية أراضي الشعب الأصلي نزعا جبريا ثم بطرده من بلده الأصلي ثم بفرض سيادة أجنبية على أرضه ثم بالعمل السريع على تهجير مجموعات أجنبية لاحتلال الأرض التي طرد منها أهلها الشرعيون •

ولم يفقد شعب فلسطين « الاشراف السياسى » فقط على
بلاده بل أنه فقد أيضا « الوجود الطبيعى » له على أرضه وفي
بلاده : فهو لم يحرم فقط من حقه الثابت فى « تقرير المصير »
بل حرم أيضا من أعظم حق شرعى له ألا وهو حق العيش
والوجود على أرضه الخاصة •

وتعتبر هذه المأساة المزدوجة التى فرضت على الشعب
العربى فى فلسطين فى منتصف القرن العشرين رمزا للطبيعة
المزدوجة التى يتسم بها المخطط الصهيونى الذى بدأ يعمل فى
فلسطين منذ نهاية القرن التاسع عشر •



أولا - الإطار التاريخي للاستعمار الصهيوني

لقد حفزت عملية « التدفق الجنوبي نحو القارة الأفريقية في سنة ١٨٨٠ » على بداية عملية الاستعمار الصهيوني في فلسطين . ففي الوقت الذي كان يتدفق فيه الباحثون عن الثروة والمستعمرون الجدد وبناء صرح الامبراطوريات الأوروبية نحو القارة الأفريقية كان المهاجرون الصهيوينيون ومؤسسو الدولة الصهيونية المستقبلية يتدفقون نحو فلسطين .

لقد وقع بعض اليهود تحت تأثير مبدأ القومية اليهودية الذي أخذ يجتاح القارة الأوروبية فاعتقدوا أن الروابط الدينية والروابط العنصرية المزعومة تشكل « قومية » يهودية وتعطى الأمة اليهودية المزعومة حق « الوجود » على أرض تكون ملكا لها وحق انشاء « دولة » يهودية . ونظرا لأن هناك أمما أوروبية قد استطاعت بنجاح أن تنتشر في قارتي آسيا وأفريقيا وقد ضمت الى أراضيها الامبراطورية مناطق واسعة من هاتين القارتين فان « الأمة اليهودية » - كما زعموا في ذلك الحين - من حقها اذن بل وفي قدرتها أن تعمل نفس العمل لحسابها الخاص . وهي اذ قد سارت على نهج الامبراطورية الاستعمارية التي قامت بها « الأمم » التي كان اليهود يعيشون في داخلها فقد رأت « الأمة اليهودية » أنها تستطيع اذن أن ترسل مستعمرها اليهود في جزء من الأرض الأفريقية الآسيوية وأن تقيم عليها « مجتمع » من المستعمرين ثم دولة خاصة عندما يحين الوقت المناسب . ولن تكون حينئذ هذه الدولة مركزا أماميا امبرياليا لدولة كبيرة بل وطننا حقيقيا تفد اليه ان آجلا

أو عاجلا « الأمة اليهودية » بأكملها • وستتم هكذا عملية استيطان « القومية اليهودية » وهى نفس العملية التى استخدمتها بعض الأمم الأوروبية الأخرى لتشييد صرح امبراطورياتها • « فالاستعمار هذا بالنسبة للصهيونية هو اذن أداة لتشييد أمة وليس هو ثمرة لقومية قائمة بالفعل » •

ولم تحقق عملية الاستعمار اليهودى المرتجلة النجاح الكبير المرجو لها وذلك على رغم كثرة الاعانات التى قدمها لهذا الغرض رجال المال اليهود الأوربيين • ذلك لان امكانيات الهجرة الجديدة الى الولايات المتحدة الامريكية والأرجنتين كانت تجذب اليها اليهود أكثر من نداء التفرقة العنصرية الذاتية كمقدمة لتشييد صرح دولة فى فلسطين • وقد كان يمكن تحقيق هدف « الفرار » من الاجراءات التى اتخذت ضد اليهود فى بعض المجتمعات الأوروبية بعملية تهجير فى القارة الامريكية • الا أن هدف « تشييد أمة » - وهو الهدف الذى كان يستطيع وحده أن يجعل هذا الحل الآخر من الاستعمار على نطاق واسع فى فلسطين مرغوبا فيه - لم يكن منتشرا الى درجة كبيرة بين اليهود الأوربيين فى أواخر القرن التاسع عشر •

وقد أدى فشل المجهود الأول الذى بذل وهو تهجير مجتمع من المستعمرين الصهيونيين فى فلسطين خلال الخمسة عشر السنة الأولى من تاريخ الاستعمار الصهيونى (١٨٨٢ - ١٨٩٧) الى إعادة النظر بشكل جذرى فى هذه المسألة بالنسبة للاستراتيجية التى تتبع حيالها • وقد نجح المؤتمر الصهيونى الأول الذى عقد فى بال (سويسرا) فى أغسطس سنة ١٨٩٧ برئاسة تيودور هرتزل فى مهمته هذه •

وكان عليهم اذن أن يصرفوا النظر - منذ ذلك الحين - عن عملية التهجير العشوائية الى فلسطين عن طريق الاعانات التي كان يمدّها به رجال المال الأثرياء من اليهود باعتبارها عملية خيرية - استعمارية وأن يحلوا محلها مخططا قوميا محضاً لعملية استعمارية استيطانية منظمة تتسم بأهداف سياسية محددة وبتأييد جماعي من الجماهير اليهودية . وقد كان الهدف الاجمالي للحركة الصهيونية كما نص عليه مؤتمر بال في سويسرا هو الآتي : « ان الهدف من قيام الحركة الصهيونية هو انشاء موطننا في فلسطين للشعب اليهودي يتمتع فيه بضمنان من القانون الدولي العام » (١) . ومن الطريف أن نذكر أن الصهيونيين كانوا يفضلون استخدام كلمة « موطننا » عن كلمة « دولة » التي كان يمكن أن تثير معارضة من جوانب كثيرة ، وذلك طيلة الفترة الممتدة من مخطط بال (سويسرا) سنة ١٨٩٧ حتى مخطط بالتمور سنة ١٩٤٢ . الا أن الصهيونيين كانوا يهدفون منذ البداية الى انشاء « دولة » من المستعمرين في فلسطين وذلك على رغم أنهم كانوا يعلنون عكس ذلك .

وفي ختام مؤتمر بال كتب هرزل في مذكراته بهذا الشأن : « اذا كان على أن ألخص مؤتمر بال في كلمة واحدة فاني أقول : لقد أسست الدولة اليهودية في بال » . واذا ما أعلنت ذلك اليوم فلن أثير سوى السخرية العالمية . ولكن

(١) كوهين ، اسراييل « موجز لتاريخ الصهيونية »
لندن فريديك مولر وشركاه ، سنة ١٩٥١ صفحة ٤٧

العالم بأسره سيرى ويتحقق من ذلك ربما خلال خمس سنوات
وقطعا خلال خمسين سنة» (١) .

وبخلاف ما أعلنه مؤتمر بال بشأن الهدف الاسمي
للحركة الصهيونية فقد أجرى هذا المؤتمر تشخيصا وتحليلا
للطابع الخاص الذي يتسم به الاستعمار الصهيوني في
فلسطين وظروفه الخاصة ثم وضع مخططا عمليا مناسبا لهذه
الظروف الخاصة . وقد تميز الاستعمار الصهيوني في
فلسطين عن الاستعمار الأوربي في قارتي آسيا وأفريقيا بثلاث
نواح أساسية تتطلب عمليات ابتكار من جهة الصهيونيين
وهي :

١ - أن المستعمرين الأوربيين الآخرين الذين وفدوا (أو
كانوا يفدون) الى مناطق أخرى من قارتي آسيا وأفريقيا
كانوا مدفوعين الى ذلك بدوافع اقتصادية أو بدوافع
سياسية - امبريالية : لقد ذهبوا للبحث عن ثروات عن
طريق عملية استغلال لثروات طبيعية هائلة وهذه
العملية تتمتع بامتيازات كبيرة وبأمن وحراسة قوية .
اذ أن هؤلاء قد ذهبوا لاعداد الطريق أمام الحكومات
الأوربية الامبريالية (أو حتى لمساعدة هذه الحكومات)
وذلك بأن تضم اليها هذه الأراضي المرغوب فيها . أما
المستعمرون الصهيونيون فلم تكن هذه الرغبة أو تلك

(١) هرزل تيودور ، تاجى بوخر ، المجلد الثاني صفحة
٢٤ ، وقد ذكر كوهين اسرائيل في كتابه « موجز لتاريخ
الصهيونية » في صفحات ١١ ، ٤٧ ، ٤٨

هى التى تحركهم وتثيرهم • لقد كانوا مدفوعين الى
استعمار فلسطين « للحصول على وطن خاص بهم »
ولتأسيس دولة يهودية مستقلة عن أية حكومة قائمة
وغير تابعة لاحداها وهى فى نفس الوقت تجذب يهود
العالم بأسره نحو أراضيها •

٢ - ربما استطاع بعض المستعمرين الآخرين التعايش مع
أهالى البلد الاصيلين بحيث يستغلونهم ويسودون
عليهم ويطالبونهم بخدمتهم وبالتالي يسمحون لهم
بالعيش والوجود فى هذه الأرض المرغوب الاستيلاء
عليها • أما المستعمرون الصهيونيون فهم لا يوافقون على
تعايش مستمر مع أهالى فلسطين وذلك لأن فلسطين
كان يسكنها العرب فى جميع أرجائها وكان وعيهم
القومى قد بدأ يتفتح ويتوق الى الاستقلال القومى • ولم
يكن الاستعمار الصهيونى يستطيع أن يحقق لنفسه
النمو الطبيعى الذى رسمته له الحركة الصهيونية طالما
ظل الشعب العربى الفلسطينى ساكنا فى وطنه • ولم
تكن الامانى « السياسية » الصهيونية تستطيع تحقيق
التفرقة العنصرية الذاتية وتحقيق قيام شكلها القومى
طالما كان هناك شعب عربى يعى قوميته ويعيش فى
فلسطين • « وهكذا كان الاستعمار الفلسطينى يتميز
عن أى استعمار أوروبى ، اذ أنه كان لا يتفق أساسا مع
استمرار وجود « الشعب الاصيل » فى الأرضى المبتغاة »

٣ - لقد استطاع بعض المستعمرين الأوربيين التغلب - بدون
الكثير من العناء - على العوائق التى كانت تعترض
اقامتهم فى المناطق التى اختاروها لأنفسهم : ذلك لأنهم

كانوا يستطيعون الاعتماد على حماية أسيادهم وولايتهم الامبرياليين . أما بالنسبة لمستعمري فلسطين من الصهيونيين فلم يكونوا ليتوقعوا مثل هذه التسهيلات . ذلك لأنه علاوة على « الشعب العربى الفلسطينى » الذى كان سيقاوم بكل تأكيد تدفق الاستعماريين الذين سيعلنون هدفهم - لا سيما هدف نزع ملكية السكان الاصليين - فانه كان على الصهيونيين أن يواجهوا مقاومة « السلطات العثمانية » التى لم تكن لتتوقع بعين الارتياح الى اقامة مجتمع أجنبى فى قطاع هام من قطاعات امبراطوريتهم لا سيما وأن هذا المجتمع كان يهدف الى اقامة دولة مستقلة فى أرجائه .

* * *

ولتجنب هذا الموقف الشائك لم تكتف الحركة الصهيونية - فى مؤتمرها الصهيونى الاول - بتفسير « هدفها الأسمى » فقط بل قامت بوضع « مخطط عملى مناسب » . وقد كان هذا المخطط يدفع الى العمل فى ثلاثة ميادين وهى : التنظيم ، الاستيطان ، المفاوضة .

١ - ولقد أعطيت أولوية قصوى لعملية « التنظيم » . فنظرا لعدم وجود هيكل تنظيمى للدولة فى بلد تملكها هذه الدولة وتشرف على عملية التهجير اليها من البلاد الواقعة فيما وراء البحار فقد كانت الحركة الصهيونية تحتاج فى الواقع الى منظمة تشبه الدولة للقيام بهذه المهام . وقد أنشئت لذلك فى بال المنظمة الصهيونية العالمية مع ما يتبعها من اتحادات المجتمعات المحلية ، ومؤتمرها ومجلسها العام وجهازها التنفيذى المركزى .

٢ - أعدت فورا أدوات « الاستعمار الاستيطاني » بشكل منظم . وهكذا نظمت المنظمة الصهيونية « الاتحاد الاستعماري اليهودي » (في سنة ١٨٩٨) ، و « اللجنة الخاصة بالاستيطان » (سنة ١٨٩٨) ، و « البنك القومي اليهودي » سنة ١٩٠١ ، و « وكالة فلسطين » ١٩٠٨ ثم « جمعية تحسين أراضى فلسطين » . وقد كان الهدف المشترك الذى تسعى هذه المنظمات الى تحقيقه هو تخطيط عملية الاستيطان وتمويلها والإشراف عليها ثم العمل على ألا يصيبها نفس المصير الذى أصاب عملية الاستيطان التلقائية السابقة .

٣ - وفى نفس الوقت الذى أنشئت فيه أدوات الاستيطان بكل نشاط بذلت فيه أيضا جهود دبلوماسية لخلق « الظروف السياسية » اللازمة التى تساعد وتسهل وتحمى عملية الاستيطان على نطاق واسع .

وقد تركزت أساسا هذه الجهود فى البداية على الامبراطورية العثمانية التى كانت تتولى حينئذ المقدرات السياسية فى فلسطين . وقد تمت اتصالات مباشرة مع السلطات العثمانية . وقدمت للسلطان وعود مادية مغرية على شكل هبات وقروض مالية . ثم طلب الى البلاد الأوربية الكبيرة أن تتدخل لدى الباب العالى لمصلحة المنظمة الصهيونية لاقتناع السلطان بمنح هذه المنظمة ميثاقا ينص فيه على اقامة مستعمرة صهيونية مستقلة فى فلسطين . وقد بذلت جهود أخرى لحمل امبراطور ألمانيا على الاكتتاب من أجل انشاء جمعية لاصلاح الأراضى يديرها الصهيونيون فى فلسطين وذلك تحت الاشراف والرعاية الألمانية . وقد بذلت أيضا فى

نفس الوقت محاولات أخرى للحصول على تصريح من الحكومة البريطانية بإقامة مستعمرة صهيونية مستقلة في شبه جزيرة سيناء قد تصلح مستقبلا كنقطة ارتكاز للاستيطان في فلسطين • ومع ذلك فلم تؤد أي من هذه الجهود الى نتيجة مثمرة على الاطلاق •

وفي نهاية العشرينات الأولى من هذا القرن وهي التي نلت بداية الحركة الصهيونية الجديدة في سنة ١٨٩٧ لم تحرز الصهيونية تقدما كبيرا في دفع مخططها الاستعماري الذي وضعته دفعة قوية الى الأمام بل ان جهودها السياسية لم تحرز نجاحا يذكر للحصول على تصريح أو تسهيلات حكومية من أجل استعمار فلسطين •

وعندما تحطمت آمالها في تحقيق استعمار على أساس قانوني غيرت الصهيونية استراتيجيتها من جديد واتجهت نحو تحقيق الاستعمار عن طريق الأمر الواقع وكانت تأمل بهذه الطريقة الحصول على قوة سياسية تكون عوناً كبيراً لها عندما يحين الوقت الذي تستطيع فيه أن تجدد محاولتها ليتحقق لها الحصول على اعتراف سياسي • ولذلك بدأت مرحلة جديدة للاستعمار الصهيوني في ١٩٠٧ - ١٩٠٨ وذلك دون الحصول على « سند شرعي » سابق أو ضمان ما من جانب أية دولة أوربية • وقد تميزت هذه الفترة بدفعة قومية واعية وبموقف مناضل من أجل التفرقة العنصرية بالنسبة للعرب الفلسطينيين، وباهتمام أكبر للاعتبارات السياسية والاستراتيجية بشأن اختيار مواقع المستعمرات اليهودية الجديدة • وعلى رغم اتساع نطاق هذه الموجة الاستعمارية الصهيونية الثانية فلم يكن النجاح الذي حققته أكثر بروزاً عنه في الموجة الأولى وجدين

بالذكر أن هذه الموجة الثانية كانت قوية وقائمة على وعى
ايدولوجى عميق •

• وفى بداية الحرب العالمية الأولى وبعد نشاط وعمـل
استمر أكثر من ثلاثين عاما لم يكن الاستعمار الصهيونى فى
فلسطين قد حقق سوى نجاحا ضئيلا •

اولا : لم يكن الصهيونيون يشكلون سوى أقلية ضئيلة
تعاادل ١٪ من يهود العالم تقريبا • وقد أثاروا بنشاطهم
مخاوف ومعارضة اليهود الآخرين الذين كانوا يحاولون ايجاد
حل « للمشكلة اليهودية » عن طريق « استيعابهم » فى بلاد
غرب أوروبا أم فى الولايات المتحدة الأمريكية وليس فى التفرقة
العنصرية الذاتية فى فلسطين •

ثانيا : لقد كانت عملية الاستعمار الصهيونى تنمو
وتتقدم بشكل بطىء للغاية • فبعد ثلاثين عاما من بدء عملية
الهجرة اليهودية الى فلسطين لم يكن اليهود يشكلون سوى
٨٪ من مجموع عدد السكان فى هذه البلاد ولم يكونوا
يمتلكون أكثر من ٢٪ من الأراضى •

ثالثا : لم تستطيع الصهيونية الحصول على المساندة
السياسية من جانب السلطات العثمانية التى كانت تشرف على
الأمر فى فلسطين أو من جانب أية دولة أوربية كبيرة أخرى •

الا أن الحرب قد أدت الى ظهور ظروف جديدة كان من
شأنها أن تعمل على تحسين مصير الاستعمار الصهيونى فى
فلسطين • ذلك لأن الحرب قد مهدت الطريق لعقد تحالف
– فى سنة ١٩١٧ – بين الامبريالية البريطانية وبين الاستعمار
الصهيونى وهو التحالف الذى فتح أبواب فلسطين أمام

المستعمرين الصهيونيين خلال الثلاث العشرية التالية كما أنه سهل إقامة مجتمع من المستعمرين الصهيونيين وأعد الطريق لنزع ملكية الممتلكات العربية وطرد الشعب العربي الفلسطيني وإنشاء دولة المستعمرين الصهيونيين وذلك في سنة ١٩٤٨ •

فبينما فشل « الاستعمار الصهيوني العامل بمفرده » خلال الثلاثين عاما التي سبقت الحرب العالمية الأولى ولم ينجح في احراز نجاح يذكر استطاع التحالف القائم بين الاستعمار الصهيوني والامبريالية البريطانية أن ينجح في تحقيق أهداف طرفي التحالف وذلك خلال الثلاثين سنة التي جاءت بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة •



ثانيا - التحالف بين الامبريالية البريطانية والاستعمار الصهيونى

كانت السياسة البريطانية فى الشرق الأوسط تدور - حتى فترة الحرب العالمية الأولى - حول بقاء سلامة الامبراطورية العثمانية فى آسيا . وكانت الممتلكات الأوربية لهذه الامبراطورية قد تحررت من السيادة العثمانية كما كانت ممتلكاتها فى القارة الافريقية قد استولت عليها بعض الدول الأوربية قبل الحرب بمدة طويلة وضمتها الى ممتلكاتها ، بينما ظلت الممتلكات العثمانية فى القارة الآسيوية فى منأى عن التنافس الامبريالى بين الدول العظمى الأوربية . وقد كانت المصالح البريطانية فى هذه المنطقة وهى الاشراف على قنابل السويس وحصانة المنطقة ضد أية سيطرة منافسة أوربية على « طريق الهند الهوى » فى مأمن وهى فى أيدي الامبراطورية العثمانية الوديعة عنها اذا ما حدث « تدفق أوربى نحو الشرق الأوسط » قد يجبر وراءه هذا المنافس أو ذاك من منافسى بريطانيا العظمى ويأتى به بجوار القنال أو فى « هذا الطريق البرى » .

ومع ذلك فعندما انضمت تركيا - خلال الحرب - الى الدول المركزية تبذدت مقدمتا البرهان القائم عليهما سياسة بريطانيا الامبريالية فى الشرق الأوسط وذلك بين يوم وليلة . وكان على بريطانيا أن تستخدم بعض الفروض السياسية الأخرى أثناء فترة ما بعد الحرب .

ففى المقام الاول فكرت بريطانيا العظمى فى تنظيم جديد بالنسبة للشرق الاوسط يحل الاستقلال العربى بموجبه مكان السلطة الامبريالية العثمانية فى جنوب غربى آسيا . وقد عقدت بهذا الشأن اتفاقيات فى نهاية سنة ١٩١٥ كان من نتيجهها قيام حركة عصيان عربية فى سنة ١٩١٦ ضد تركيا .

الا أن الضغط الذى مارسه بعض الدول الأوروبية العظمى - وقد كانت حينئذ حليفة لبريطانيا - قد بدد كل تبعية انجليزية مطلقة . فقد وقعت - خلال خريف ١٩١٦ - اتفاقيات سرية بين بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية لتقسيم الغنيمة العثمانية فيما بينها .

وقد اتضح سريعا للسياسة الانجليز الاكثر اهتماما بالامبراطورية أن هذه الاتفاقيات تبدو غير مريحة لهم لأنها كانت فى الواقع تهدد بجر فرنسا بطريقة خطيرة على الضفاف الشرقية لقنال السويس . وحيث أن تجارب الحرب الأخيرة قد نزع من الانجليز كل شعور بالأمن (وهو الشعور القائم على حصانة شبه جزيرة سيناء) فقد اعتقدوا أنه يجب المحافظة ليس فقط على شبه جزيرة سيناء بل على فلسطين أيضا وذلك حتى يطمئنوا الى وضع القنال فى حالة من الأمن . وهكذا نرى أن الاتفاقية الفرنسية - الانجليزية التى وقعت سنة ١٩١٦ والتى كانت تنص على تدويل أكبر قسط من فلسطين قد أزعجت نفس هؤلاء السياسة الانجليز كما أن المطالبات الفرنسية بشأن فلسطين بأسرها لم يكن من شأنها تبديد مخاوف الامبرياليين البريطانيين .

وفى بداية سنة ١٩١٧ كانت هناك حكومة انجليزية جديدة تحاول أن تجد بكل دأب ونشاط الوسائل التى تستطيع بها التحلل من الاتفاقيات التى كانت الحكومة السابقة لها قد عقدتها مع فرنسا بشأن تقسيم غنائم الحرب بالنسبة للممتلكات العربية التابعة للإمبراطورية العثمانية فيما بينها. وفى هذه الآونة أخذت المحاولات الصهيونية - بتحريض من بريطانيا العظمى ، وهى التى لم تكن مثمرة فيما قبل - تنشط من جديد لضمان تأييد بريطانيا لها من أجل فرض سيطرة صهيونية على فلسطين .

وقد ساهمت هنا المصالح المتبادلة فى الجمع بين الامبراطورية البريطانية والاستعمار الصهيونى . وقد استخدمت بريطانيا العظمى النفوذ الصهيونى فى الولايات المتحدة الامريكية وفى فرنسا لاستبعاد فكرة تدويل فلسطين وذلك على زعم أن مخطط الاستعمار الصهيونى الذى سيتم تحت رعاية الانجليز سيتطلب فرض السيادة البريطانية على فلسطين . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نرى أن بريطانيا العظمى حينما تلعب دورها هذا الذى يعجل من تعيين بريطانيا كدولة حاكمة فى فلسطين فهى تعطى حينئذ للصهيونية الفرصة فى أن تقوم بتنفيذ المخطط الذى طالما انتظرت تنفيذه ولا سيما المخطط الخاص باستعمار هذه الأراضى المنشودة على نطاق واسع تحت رعاية وحماية دولة عظيمة . وقد تضمن بريطانيا العظمى بذلك أن مجتمع المستعمرين الصهيونيين المدعوم سيعتزل تابعا الى ما لا نهاية للحماية البريطانية وسيستمر فى فرض وتبرير الوجود البريطانى فى فلسطين . ذلك بينما الصهيونية من جانبها تضمن أيضا أن بريطانيا

العظمى وقد التزمت أمام الرأى العام العالمى ، بموجب تعهدها الحربى - فى تسهيل عملية الاستعمار الصهيونى فتسهيل تقديم الحماية اللازمة لمجتمع المستعمرين الصهيونيين خلال المراحل الأولى من مراحل تكوينه تجاه ما سيثار ضده بكل تأكيد من معارضة عربية • وقد كان تحالف المصلحة المتبادلة الذى جمع بين الامبريالية البريطانية والاستعمار الصهيونى كاملا •

* * *

وقد حققت الجهود الصهيونية الأولية التى بذلت من أجل ضمان موافقة الولايات المتحدة الامريكية بعض النجاح وذلك على رغم ما أبرزه الرئيس ويلسون بشأن مبدأ تقرير المصير وهو المبدأ الذى يتعارض مع الاستعمار الصهيونى فى فلسطين والذى كان على الصهاينة ان يعملوا على مواجهته علاوة على مواجهتهم للمعارضة العربية • وكذلك كانت الجهود التى بذلها الصهاينة فى نفس الوقت فى باريس للحصول على موافقة فرنسا على اعادة النظر فى الاتفاقيات التى سبق أن أبرمت بين فرنسا وانجلترا بشأن مستقبل فلسطين منسجمة بعض الشيء • وعندما تم هذا الاجراء اعدادى أعلنت بريطانيا العظمى حول سياستها فى يوم ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ وهو ما يعرف بشكل عام تحت اسم وعد بلفور حيث أعلنت بريطانيا مساندتها لخلق « وطن قوميا » لليهود فى فلسطين • وقد طلب الصهاينة - كما كان ذلك متوقعا - من مؤتمر السلام أن تعطى بريطانيا حق الانتداب على فلسطين • وقد

عملت بريطانيا بدورها على تضمين التزامها - وهو الذى أعلنته فى تصريح بلفور ضمن نص منحها الانتداب على فلسطين . وهكذا فتح الطريق أمام الامبريالية البريطانية وأمام الاستعمار الصهيونى معا لى يحققا معا أهدافهما .

ولم تتوان بريطانيا فى خلق الظروف التى كان يتطلبها الاستعمار الصهيونى . فقد عينت يهوديا صهيونيا فى منصب المندوب السامى فى فلسطين . كما أنها اعترفت بالمنظمة الصهيونية العالمية باعتبارها « وكالة يهودية » تمثل اليهود . وقد فتحت أبواب فلسطين للهجرة الصهيونية على نطاق واسع وذلك رغم الاحتجاجات العربية . وقد منحت ممتلكات الدولة للمستعمرين الصهيونيين كما أنها فرضت حمايتها على منظمات « الموطن القومى » الجديد . وقد سمحت للمجتمع الصهيونى بإدارة مدارس الخاصة والاستمرار فى تنظيمه العسكرى (الهاجانا) . وقامت بتدريب القوات المجاهدة الصهيونية (لا بالماك) وتغافلت عن وجود منظمات « سرية » ارامية (مثل جماعة شتيرن وارجون) . ولم يكن من الغريب أن تصف لجنة ملكية بريطانية مجتمع المستعمرين الصهيونيين فى فلسطين فى منتصف الأربعينات بأنها « دولة داخل دولة » . وفى نفس الوقت كانت الأغلبية العربية - وهى التى طالما أكدت لها بريطانيا بأنها ستسهر على ألا يمس الحقوق العربية ذلك النمو السريع الذى يسير على منواله مجتمع المستعمرين الصهيونيين - لا يوافق لها على منحها مثل هذه التسهيلات بل أنها حرمت حتى من الوسائل التى تحمى بها نفسها .

وفى نهاية الحكم البريطانى الذى دام ثلاثين عاما بلغ مجتمع المستعمرين الصهيونيين اثنى عشرة أضعاف حجمه الذى كان عليه سنة ١٩١٧ ، وأصبح يمثل ثلث شعب فلسطين . وفى نفس ذلك الوقت أقام هذا المجتمع - تحت رعاية سلطة الانتداب - مؤسساته الخاصة بشبه الحكومية وقوة عسكرية على درجة كبرى من الأهمية .



ومع ذلك فان بريطانيا لم تتحد مع الصهيونية فى فلسطين من أجل خدمة مخططات الاستعمار الصهيونى فحسب . فكلما أسرعَت الصهيونية فى عملية تشييد دولتها (وهو ما يجعل الوجود البريطانى فى فلسطين غير ضرورى وغير مرغوب فيه فى نظر الصهيونيين) كانت بريطانيا تشد الحبل الى الاتجاه المضاد لتخفيف هذه السرعة . وقد عجلت الحرب العالمية الثانية من الخاتمة التى أدت الى انفصام التحالف الانجليزى الصهيونى .

ففى أواخر الحرب العالمية الثانية أصاب بريطانيا الضعف والوهن من جراء هذه الحرب كما أدى استقلال الهند المحتم الى التقليل من اهتمام بريطانيا بهذا التحالف وذلك بينما اضطرت المعارضة المتزايدة من جهة الدول العربية المنشأة حديثا للدور الذى تلعبه بريطانيا فى فلسطين الى جعلها تتحفظ بعض الشيء فى مساندتها للقضية الصهيونية وهى تلك المساندة التى كانت من قبل كاملة وبلا حدود . ومن ناحية أخرى كان لارتقاء الولايات المتحدة لمرتبة الدولة العالمية العظمى النشيطة ونظرا لما لها من مصالح اقتصادية

واستراتيجية في الشرق الأوسط وللعطف المتزايد الذي يمكنه السياسة الأمريكية للقضية الصهيونية فرصة لتحقيق آمال الصهيونية وذلك بإيجاد ضامنا غريبا جديدا في هذه المرحلة الحاسمة من مراحل الاستيلاء على فلسطين .

وهكذا وفي منتصف الخمسينيات وبينما تمتع الاستعمار الصهيوني في فلسطين بحماية الامبراطورية البريطانية لمدة ثلاثين عاما كان هذا الاستعمار يبحث عن حليف قوى ومجاهد في سبيله ويستطيع أن يمد له يد المساعدة في كفاحه المقبل من أجل الحصول على صفة قومية . وقد ظهرت الولايات المتحدة وكانت مستعدة استعدادا طيبا يتفق مع ما تشعر به الصهيونية من احتياجات .

« وإذا كانت عصبة الأمم الأداة المختارة لمنح الجمعية الانجليزية - الصهيونية شكلا من أشكال الاحترام الدولي فقد استخدمت منظمة الأمم المتحدة لتحقيق هدف مشابه لذلك عن طريق التفاهم الصهيوني الأمريكي . لقد حصلت بريطانيا من عصبة الأمم التي كانت تسيطر عليها دول أوربا على موافقتها على قيام استعمار صهيوني أوربي في فلسطين أما الولايات المتحدة الأمريكية فقد حملت الأغلبية الأوربية الأمريكية على كسر وهزيمة المعارضة التي قامت بها الأقلية الأفريقية الآسيوية داخل الجمعية العامة وعلى اعتماد قيام دولة استعمارية صهيونية على الجسر الأفريقي الآسيوي ، على الأرض العربية في فلسطين » .

فبخلاف اتحاد جنوب افريقيا وهي الدولة التي تحكمها أقلية من المستعمرين الأجانب لم يوافق أى بلد افريقي أو

آسيوى على « مشروع التقسيم » الذى عرضته اللجنة الخاصة
 بفلسطين على الجمعية العامة • وعلى رغم أن بلدا افريقيا واحدا
 وآخر آسيويا (بخلاف اتحاد جنوب افريقيا) قد أعطيا
 صوتيهما فى عملية التصويت النهائى التى جرت يوم ٢٩
 نوفمبر سنة ١٩٤٧ بالموافقة على التوصية المقترحة الا أن
 التأييد الحماسى لهذا الاقتراح كان فقط من جانب أوربا
 وأستراليا ونصف العالم الغربى • « وقد أدخلت دولة أجنبية
 فى ملتقى القارتين : أفريقيا وآسيا وذلك دون موافقة أى بلد
 افريقى أو آسيوى مجاور » •

وفى هذه المرحلة من مراحل المأساة التاريخية لفلسطين
 وجد العرب الفلسطينيون أنفسهم - بعد ثلاثين عاما ذاقوا
 فيها ويلات القمع البريطانى - غير قادرين على مقاومة الحملة
 التى قام بها المجتمع الصهيونى وهو المجتمع الذى تم تنسيقه
 وتنظيمه وتدريبه وتسليحه ومساندته عن طريق المجتمع الدولى
 وهو المجتمع الأوروبى والأمريكى فى ذلك الحين •

وهكذا لم يفقد فقط الشعب العربى فى فلسطين
 « الاشراف السياسى » على بلده الخاص بل فقد أيضا « بلده
 ذاتها » • لقد طرد الفلسطينيون بالقوة من وطنهم واذ قد تم
 تجريد أرضهم من سكانها الشرعيين بدون رحمة فقد فتحت
 هذه الأرض لموجة جديدة من الاستعمار والتهجير المنظم
 والممول على نطاق واسع • وقد نفذت عملية الاستعمار هذه
 لصبغها بصبغة « الأمر الواقع » خشية ألا يوافق على ذلك
 الرأى العام الدولى •

* * *

وقد حل تحالف الاستعمار الصهيوني مع القسوة
الامبريالية الغربية بشكل مؤقت بعد أن خدم قضيته • الا أن
هذا التحالف قد بعث على شكل جديد لكى يتلاءم مع الظروف
العالمية الجديدة ومع المرحلة الجديدة من مراحل الاستعمار
الصهيوني • فلم يكد أحد الضامنين الغربيين ينزوى فى الظلام
حتى تدافع ضامنون آخرون على مسرح الأحداث • وعلى رغم
أن الاستعمار الصهيوني قد استبدل حلفاؤه بمهارة الا أنه لم
يترك لذلك إستراتيجية الإحلال الامبريالية • ذلك لأن
بدون حبل الحياة الذى يربط بين المستعمرين الصهيونيين
وبين منابع تموينه وسلطته فى الخارج لا تستطيع الصهيونية
أن تحصل الا على قدر ضئيل من القوة التى تجعلها تعيش من
وسائلها الخاصة •

بل وحتى تحالفها مع الاستعمار البريطانى لم يفصم الا
بشكل مؤقت • ذلك لأنه عندما حان الوقت لاعادة النظر فى
الاستراتيجية الامبريالية البريطانية على أثر ما طرأ على
الظروف العالمية من تعديل فقد بحثت بريطانيا عن التزام
جديد مع الاستعمار الصهيوني وذلك لتنفيذ استراتيجيتها •
وكان هذا الالتزام يهدف حينئذ الى تحقيق أهداف توسعية
اقليمية داخل اطار الدولة الجديدة • وقد سميت فى الحال
الخلافت التى كانت قائمة بين الحلفاء القدامى وبين الجمهورية
الرابعة فى فرنسا • وقد نتج عن ذلك مباشرة العدوان على
مصر سنة ١٩٥٦ •

وعندما تبين للصهيونية - بعد انهيار الجمهورية
الفرنسية الرابعة وبعد الاختيار المنجل الذى قاست منه

بريطانيا في السويس سنة ١٩٥٦ - أن تبعية دولة المستعمرين
الصهيونيين لهذين البلدين لم تعد صالحة لاستيراد أدوات
العدوان منها أخذت تلك الصهيونية تبحث - بدون عناء - عن
دولة أوروبية أخرى تستورد منها أسلحتها العدوانية • وقد
أعطى هذا الدور الى جمهورية ألمانيا الاتحادية التي أسرع
- بإيعاز من الولايات المتحدة الأمريكية - فى تقديم مساعدة
اقتصادية على نطاق واسع وهبات عسكرية عديدة اتفق عليها
سرا وأعطيت لها فى ظل الكتمان • وقد كان الدافع أيضا
لذلك الضمير الألمانى المعذب والذي عرفت الصهيونية العالمية
كيف تتلاعب به وتحركه • وهذا ما حدى بالجمهورية الاتحادية
الألمانية الى تقديم مساعداتها الى الدولة الصهيونية تحت اسم
« التعويضات ») •

وعلى رغم جميع وسائل الحياة والبقاء التى استطاعت
أن تحصل عليها أكان عن طريق هذه الدولة الغربية أو من
تلك فقد ظلت الدولة الصهيونية « جسما غربيا » فى المنطقة
العربية • « ولم يكن فقط ارتباطها الحيوى والمستمر مع
الإستعمار الأوروبى ثم ادخالها وسائل الإستعمار الغربى فى
فلسطين هو الذى جعل منها مجتمعا غربيا وأجنبيا فى الشرق
الأوسط بل ان ما أضفى عليها هذا الشكل هو أيضا المنهج
الذى اختارته لنفسها وهو منهج العنصرية المطلقة والتفرقة
العنصرية الذاتية • ولا نجد نصا مكتوبا يصف بوضوح
الطابع الأجنبى الأساسى لتلك الدولة الصهيونية أكثر من هذا
النص الذى كتبه رئيس وزرائها المخضرم وهو يقول فيه
ما يأتى :

« ليست دولة اسرائيل جزءاً من الشرق الأوسط سوى من الناحية الجغرافية فحسب ويعتبر ذلك على أى حال عنصراً ستاتيكيًا • أما من الناحية الديناميكية – أى من ناحية التشييد والتنمية – فإن اسرائيل تعتبر جزءاً لا يتجزأ من الحركة اليهودية العالمية • فهي تستمد من هذه الحركة اليهودية كل قوتها ووسائل اقامة أمة في اسرائيل ووسائل تنمية واستثمار أرضها • فيفضل الحركة اليهودية العالمية ستشيد اسرائيل نفسها وسيعاد تشييدها » (١) •

(١) بن جوريون ، دافيد « بعث اسرائيل ومصيرها » •
نيويورك – المكتبة الفلسفية ، سنة ١٩٥٤ ، ص ٤٨٩ •

طابع دولة المستعمرين الصهيونيين

الى جانب ارتباطه الحيوى بالامبريالية ، ووضعه
الحتمى كشيء أجنبى دخيل على منطقة الشرق الأوسط ، فان
التشخيص السياسى للاستعمار الصهيونى (أى دولة المستعمرين
الصهيونيين : اسرائيل) تنقسم بصفة جوهرية بقسمات ثلاث:

١ - طابعها العنصرى وسلوكها العنصرى .

٢ - ميلها للعنف .

٣ - اتجاهها التوسعى .

١ - العنصرية

ليست العنصرية طابعاً اكتسبته دولة المستعمرين
الصهيونيين ، كما انها ليست ايضاً صفة عارضة أو وقتية على
المسرح الاسرائيلى . ان العنصرية صفة خلقية ولدت بولادة
الدولة الاسرائيلية ، صفة جوهرية ، صفة دائمة لا تزول .
ذلك لان العنصرية ملازمة للايديولوجية الصهيونية نفسها ،
وللباعث الاساسى للاستعمار الصهيونى ولخلق الدولة
الصهيونية .

ان الصهيونية هى الايمان بالوحدة القومية لجميع
اليهود ، الذين لا يمكن أن تتأكد ذاتيتهم وشخصيتهم الا ببناء
على ما افترضته الصهيونية من أن لهم أصل غابر مشترك .

وطبقا للعقيدة الصهيونية ، لا تشكل لا الديانة ولا اللغة « الرباط القومى » المفترض لليهود : لأن الصهيونيين ، الذين هم فى الواقع يهود مؤمنون أو يؤدون الفرائض ، عددهم قليل نسبيا ، هذا الى أن اللغة العبرية لم تبعث الا بعد ولادة الصهيونية • ويبدو أن التشريع الحديث والأحكام القضائية التى تستخدم كسوابق فى الدولة الصهيونية ، وكذلك الأدب السياسى للحركة الصهيونية منذ بدايتها ، تدل على أن طابعها العنصرى : ان مجرد العملية البيولوجية ، وهى أن تنحدر من أبوين يهوديين ، كافية فى حد ذاتها وفى نظر الصهيونيين لاعتبار الطفل شخصا « يهوديا » •

ان تحقيق الذاتية الصهيونية بالانتماء الى عنصر تترتب عليه نتائج ثلاث : التفرقة الذاتية العنصرية ، الاستثناء العنصرى ، والتفوق العنصرى • وتشكل هذه المبادئ لب الايديولوجية الصهيونية •

والدافع الاول للاستعمار الصهيونى هو أن تتابع « الأمة اليهودية » عملية « تحقيق قومى ذاتى » بمساعدة عملية إعادة تجميع لليهود فى أرض معينة ، وإقامة دولة مستقلة فوق هذه الأرض • ومن ثم فان التفرقة الذاتية العنصرية هى جوهر الصهيونية •

وتنفى التفرقة الذاتية العنصرية بطبيعتها الاندماج أو الاستيعاب • وابتداء من هرتزل حتى وايزمان ، ومن بن جوريون الى جولدمان ، اعتقد زعماء الصهيونية كلهم ودعوا جميعهم الى أن العدو الرئيسى للصهيونية ليس أبدا « العدو للسامية » من قبل غير اليهود ، وانما هذا العدو هو

« الاستيعاب » اليهودى • وهكذا تتفق « معاداة السامية » والصهيونية على القاعدة الأساسية التى يسلم بها كلاهما : يشكل جميع اليهود أمة واحدة ، لها قسما ت قومية مشتركة ومصير قومى مشترك • والاختلاف بينهما هو أن « معاداة السامية » لا تأبه بما يسمى « القسما ت القومية » لليهود ولا تسام من ترديد الأُحوال وأعمال التعذيب التى عاناها اليهود ، بينما تمجد الصهيونية هذه القسما ت الوهمية ، وتحاول جهدها أن تجمع كل اليهود فى دولة يهودية واحدة ، يلقي عليها الصهيو نيون المعتدلون أنفسهم « مهمة خاصة » يتعين اقيام بها •

وطبقا للعقيدة الصهيونية ، فإن « الاستيعاب » هو ضياع « الشخصية اليهودية » ، وهو يشكل المرحلة الأولى التى تؤدى الى « تحلل » و « محو » « الأمة اليهودية » • وما « التفرقة الذاتية العنصرية » الا الرد الصهيونى على « الاستيعاب اليهودى » ، ذلك لأن الصهيونية ترى أن « التفرقة الذاتية العنصرية » هى الطريق الوحيد المؤدى الى « استرداد » و « خلاص » و « اتمام تكوين » الأمة •

وعلى ضوء هذا المنطق نفسه ، الذى ترفض الصهيونية بناء عليه ودون مساومات استيعاب اليهود بواسطة مجتمعات غير يهودية ، فإن المبدأ الأساسى الصهيونى للتفرقة الذاتية العنصرية يتطلب أيضا نقاء العنصر والاستثناء العنصرى فى الأرض التى سوف تتحقق فوقها التفرقة الذاتية اليهودية • وعلى هذا ، لابد أن ترفض العقيدة الصهيونية للتفرقة الذاتية تعايش الطائفة اليهودية والطوائف غير اليهودية على أرض إعادة التجميع اليهودى • ان التعايش مع الطوائف غير

اليهودية - بما في ذلك السكان الاصليين - فوق الأرض التي سوف يتجمع عليها اليهود يشكل لطخة تشين صورة العنصرية الصهيونية النقية ، تماثل الإقامة المتصلة لليهود في أراضي غير اليهود ، تلك الأراضي التي أطلق عليها اسم « المنفى اليهودي » .

ويتطلب المثل الأعلى الصهيوني للتفرقة الذاتية العنصرية - وهو مطلب لا مفر منه أيضا - رحيل جميع اليهود من الأراضي « المنفيين » اليها ، وكذلك نزع ملكية كل من هو غير يهودي من الأرض التي هي « مقصد اليهود » ، أي فلسطين . وهذان شرطان جوهريان من أجل « تحقيق الصهيونية وانجاز أهدافها » ومن أجل « استعادة الوطن » اليهودي .

وطبقا لتعاليم الصهيونية ، لا يمكن تحقيق « التفوق اليهودي » في نهاية الأمر الا بتحقيق هذا الشرط : انجاز عملية التفرقة الذاتية . لأن « شعب الله المختار » لا يمكن أن يبلغ « مصيره الخاص » الا اذا تمت عملية تجمعه وحده .

* * *

ونلاحظ فيما يتعلق بهذا الموضوع وجود اختلاف هام بين العنصرية الصهيونية والأشكال الأخرى المعروفة للعنصرية الأوروبية ، منذ قيام الاستعمار الذي ابتليت به شعوب آسيا وأفريقيا . فلقد وجد الاستعماريون الأوروبيون الراغبون في فرض تفوقهم العنصري في أمكنة أخرى من آسيا وأفريقيا ، من السهل عليهم أن يعبروا عن هذا « التفوق » على « شعوب مقهورة » أو « سلالات عرقية أدنى » في إطار « التعايش

التدرجى العنصرى » • ومهما كانت التفرقة وعدم المساواة ، فقد تعايش بصفة عامة المستوطنون الأوروبيون و « الأهالى » فى نفس المستعمرة أو فى ذات المحمية • ولقد كان المستوطنون الأوروبيون يرون ، على الرغم من احتقارهم السافر للأهالى ، وعلى الرغم من اضطهادهم لهم ، وعلى الرغم من تطبيق التفرقة العنصرية عليهم تطبيقاً منهجياً ، ان الوجود المستمر للسكان الأصليين « مفيد » فى نهاية الأمر للمستوطنين أنفسهم • وهكذا كانوا يحتفظون (للأهالى » بجميع الوظائف المزرية ويعهدون اليهم بالأدوار الدنيا فى المجتمعات الاستعمارية • بيد أن الأمر ليس كذلك بالنسبة للصهيونية • ان الاستعماريين الصهيونيين الراغبين فى فرض تفوقهم العنصرى فى فلسطين يرون من الضرورى اتباع وسيلة أخرى أكثر توافقاً مع نظامهم الايديولوجى • وهم يعبرون عن « تفوقهم » الوهمى على « الأهالى » العرب ، أولاً : عن طريق الانزال عن العرب فى فلسطين ، وثانياً : عن طريق ابعاد العرب عن وطنهم •

ولم يحدث فى أى مكان فى آسيا وأفريقيا – ولا حتى فى جنوب أفريقيا وروديسيا – مثلاً حدث فى فلسطين بتأثير المذهب الصهيونى وبأساليب القهرية ، فلقد جرت عملية فرض التفوق العنصرى الأوروبى بحماسة فياضة ابتغاء قيام استثناء عنصري شامل ، وبهدف طرد السكان « الأصليين » وراء حدود دولة المستوطنين • (وربما يمكن تفسير هذا الفارق بين الصهيونية وبين قواعد الاستعمار الأوروبى ، بارجاعه الى التعلق الواعى بالنظريات العنصرية التى هى جزء لا يتجزأ من الايديولوجية الصهيونية ••• هذا التعلق الذى

مهد ودفع وأوحى ، ثم قاد في كل مرحلة عملية الاستعمار الصهيوني لفلسطين ، على الأقل منذ بداية الحركة الصهيونية الجديدة عام ١٨٩٧) •

وعندما لم يكن في استطاعة المستعمرين الصهيونيين أن يجلبوا الأهالي العرب عن فلسطين (الأغلبية الساحقة من سكان فلسطين) اكتفوا بالانعزال عن المجتمع العربي وبمقاطعة الانتاج العربى والأيدى العاملة العربية مقاطعة منهجية • ونتيجة لذلك ، تم اقرار مبدأ ، منذ العهد الأول للاستعمار الصهيونى ، وبمقتضى هذا المبدأ لا يجوز استخدام أيدي عاملة فى المستعمرات الصهيونية سوى الأيدى العاملة اليهودية • وببساطة حادة ، سهرت « الوكالة اليهودية » و « الصندوق القومى اليهودى » و « صندوق تأسيس فلسطين » و « اتحاد العمل اليهودى » على مراعاة هذا المبدأ الأساسى للاستعمار الصهيونى •

بيد أن قرار مقاطعة العرب فى فلسطين ، بدلا من أن يهدف الى ابعادهم عن وطنهم ، قنع بأن يكون مجرد تكتيك ، بل ايقافا مؤقتا للعقيدة الصهيونية القائمة على أساس الاستثناء العنصرى ، ولقد كان هذا القرار مفروضا على الصهيونية نتيجة للظروف التى كانت محيطة بالمراحل الأولى للاستعمار الصهيونى • كان هذا القرار بمثابة شر لا بد منه ، يجب تقبله ، طالما ان التطبيق الدقيق للنظريات العنصرية للصهيونية تعرقله عوامل أجنبية لا تستطيع الحركة الصهيونية أن تسيطر عليها فى تلك الآونة • ولكن هذا التثقل المؤقت لا يعنى أن الهدف النهائى ، ولا سيما اجلاء السكان العرب عن فلسطين ، حتى يستطاع تجسيد مبدأ

الاستثناء العنصري ، قد عدل عنه بأى حال من الأحوال ، على الرغم من وضعه جانباً بصفة مؤقتة •

ومنذ عام ١٨٩٥ ، عمل هيرتزل بنشاط على نسج مؤامرة قائمة على أساس مخطط يرمى الى « ارغام السكان الذين لا مورد لهم على النزوح الى ما وراء حدود فلسطين ، نتيجة لحرمانهم من العمل » (١) • ولقد توقع وايزمان عام ١٩١٩ خلق فلسطين « التى سوف تكون يهودية بقدر ما لانجلترا من الانجليزية » (٢) • وشرح البرنامج الصهيونى ، بأن قال عنه أنه هو خلق « قومية ستكون لها من اليهودية ما للأمة الفرنسية من الفرنسية وما للأمة الانجليزية من الانجليزية » (٣) • وهكذا ، فان الهدف الصهيونى ، ولو أنه

(١) تيودور هيرتزل « اليوميات الكاملة » الجزء الأول ، بالانجليزية المطبوع عام ١٩٦٠ صفحة ٨٨ (الدخول فى ١٢ يونية ١٨٩٥ ، كما رواه ايرسكين ب • تشايلدارز : فلسطين – « المثلث المكسور » فى جريدة الشئون الدولية ، الجزء التاسع عشر ، العدد الاول ، عام ١٩٦٥ ، صفحة ٩٣ – بالانجليزية) •

(٢) تشام وايزمان فى كتابه بالانجليزية « المحاكمة والخطأ » ، المنشور فى نيويورك بواسطة دار النشر هاربر واخوته ، ١٩٤٩ ، صفحة ٢٤٤ •

(٣) جاءت هذه العبارة فى الكتاب الصادر بالانجليزية ، عن المطبعة الحكومية فى القدس تحت عنوان « التاريخ السياسى لفلسطين تحت حكم الادارة البريطانية » ، عام ١٩٤٧ ، الصفحة الثالثة ، الفقرة ١٢ •

لم يتحقق الا عام ١٩٤٨ نتيجة للطرد القهرى العنيف للأغلبية الفلسطينية العربية من وطنها ، الا أنه ظل نصب عين الحركة الصهيونية منذ بدايتها ، تغذية بعملية مستمرة تتمثل فى تجريد فلسطين من عروبته (حتى يمكن للصهيونية أن تحكم السيطرة عليها) .

وبصفة جوهرية ، يحوى المضمون الصهيونى « للحل النهائى » « للمشكلة العربية » فى فلسطين والمضمون النازى « للحل النهائى » « للمشكلة اليهودية » فى ألمانيا نفس العنصر الأساسى : محو العنصر البشرى غير المرغوب فيه . ولكن اذا كانت النازية قد تابعت عملية خلق « ألمانيا المبرأة من اليهود » بمناهج أشد عسفا وأكثر وحشية من المناهج التى اتبعتها الصهيونية لخلق « فلسطين المجردة من العرب » ، فان وراء هذين الأسلوبين المختلفين مقاصد متماثلة .

* * *

اذا كانت التفرقة العنصرية الموجهة الى « الأهالى الذين هم من عنصر أدنى » هى شعار أنظمة الحكم للاستعماريين الاوربيين الراغبين فى فرض تفوقهم العنصرى فى آسيا وافريقيا ، فان شعار نظام حكم المستوطنين الصهاينة ، الراغبين فى فرض تفوقهم العنصرى فى فلسطين هو المحو العنصرى . وهكذا عامل الصهاينة البقية الباقية من العرب الفلسطينيين ، الذين أصروا على البقاء فى وطنهم على الرغم من جميع الجهود التى بذلت لتجريدهم مما يملكونه وطردهم ، منجدين العقيدة الصهيونية القائمة على أساس الاستثناء العنصرى عاملوهم معاملة تسودها التفرقة العنصرية .

وبموقفهم تجاه هؤلاء السكان العرب الذين ظلوا في فلسطين ، كشف المستعمرون الصهيونيون اللثام عن مسلك التفوق العنصرى ، ومارسوا قواعد التمييز العنصرى ، التى ذاع صيتها فى آسيا وأفريقيا نتيجة لممارسة الاستعمارين الأوربيين العنصريين الآخرين لها .

وفى الواقع ، فإن دولة المستعمرين الصهيونيين ، بتطبيقها التمييز العنصرى على البقية الباقية من العرب الفلسطينيين ، قد تعلمت جميع الدروس التى يمكن أن تلقنها لها مختلف أنظمة الحكم العنصرية فى الدول التى بها مستوطنين بيض فى آسيا وأفريقيا . ولقد دلت الدولة الصهيونية فيما يتعلق بهذه المهمة أنها تلميذ نجيب ومتحمس قادر على أن يتفوق على أساتذته . ويكفى للتدليل على ذلك أن نشير الى أن رواد التمييز العنصرى وهم المستوطنين البيض فى جنوب أفريقيا يعترفون دون حياء بجريمتهم ، أما الممارسون الصهيونيون للتمييز العنصرى فى فلسطين ، فهم يعلنون كذبا أنهم أبرياء من جريمة التمييز العنصرى !

* * *

ان البقية الباقية من العرب الفلسطينيين ، الذين لا زالوا يعيشون داخل الدولة الصهيونية منذ عام ١٩٤٨ ، لهم نفس معسكرات التجميع التى يعيش فيها السود فى جنوب أفريقيا (البانتو) ، لهم « اجراءات التحفظ التى تطبق على السكان الأصليين » ، ولهم أحياءهم الخاصة بهم والتى تشبه الجيتو (أحياء اليهود فى ظل اضطهاد المسيحية الأوربية لهم) ، هذا على الرغم من أن السلطات الصهيونية تخلع

متلطفة على الاوضاع القانونية التى فرضتها على العرب ،والتى ينتقض عليها العرب يوميا ، لفظا مخففا فتقول عنها « منطقة الأمن » •

ان حوالى ٩٠٪ من العرب الخاصعين لسيادة اسرائيل يعيشون فى ظل « مناطق الأمن » هذه •

وفى دولة المستعمرين الصهيونيين ، فهم هؤلاء العرب وحدهم الذين يعيشون تحت وطاة الأحكام العرفية • وهكذا يتولى الوظائف الادارية ، فى « مناطق الأمن » التى يسكنها العرب ، ضباط عسكريون تابعون لوزارة الدفاع ، بينما بقية البلد تحكم بادارة مدنية • ويحكم العرب الذين يرتكبون جرائم طبقا للقانون العسكرى المطبق فى « مناطق الأمن » (« اجراءات الطوارئ » ويسمونها « الدفاع ») ، ويساقون كى يستجوبوا أمام محاكم عسكرية ، لا يمكن استئناف الأحكام التى تصدرها • ولقد أصبح من الأمور العادية فى هذه المناطق ان يصدر الحاكم العسكرى أمرا بالنفى أو بتحديد الإقامة •

وفى الدولة الصهيونية ، يخضع السكان العرب وحدهم فى « مناطق الأمن » لنظام تصاريح المرور ، الذى يقيد الى أقصى حد حرية الانتقال والتحرك •

وفى الدولة الصهيونية ، يحرم العرب وحدهم من الحقوق الأساسية للتعبير ، والاجتماع ، وتكوين الجمعيات • ويحرم عليهم اصدار الجرائد أو تكوين المنظمات السياسية •

ولا تكاد توجد امكانيات بالنسبة للعرب كى يواصلوا

تعليمهم ، وكلما كانت المرحلة التعليمية أعلى كلما ضاقت
امكانيات مواصلة التعليم فيها بالنسبة للعرب . ومن الصعب
علينا أن نعقد مقارنة بين قيمة التعليم الذي يتاح للعرب في
حدود معينة أن يحصلوا عليه وبين قيمة النظام التعليمي
المنفتحة أبوابه دون قيود لليهود .

ومن الوجهة الاقتصادية ، يعاني العرب في الدولة
الصهيونية وطأة عبء ثلاثي : تقييد حقهم في تولي مختلف
الوظائف ، مما أدى الى بطالة واسعة النطاق ، وثانيا : فان
الوظائف التي يسمح لهم بتوليها هي بصفة عامة الوظائف
المتهنة المزرية ، وثالثا : فان حق الحصول على « أجر مساو
بالنسبة لنفس العمل » حق محروم عليهم أن يتمتعوا به .

وبمقتضى سلسلة من القوانين الصارمة أصدرتها الدولة
بين عام ١٩٤٨ وعام ١٩٥٣ ، تحرم على ملاك الأراضي الزراعية
التي لحقتهم أضرار نتيجة للإجراءات الحكومية أن يطالبوا
بتعويضهم عما أصابهم أمام المحاكم ، صودرت الأراضي
الزراعية التي يملكها السكان العرب بمجرد تنفيذ أوامر
إدارية . ولقد تم بمقتضى هذه الإجراءات الإدارية نزع ملكيات
قرى عربية بأسرها ، وأعطيت هذه القرى لليهود كي يقيموا
عليها منشئاتهم الصهيونية .

ومن الوجهة العملية ، لا يوجد أي اشتراك عربي في
إدارة الدولة الصهيونية ، اذا أدخلنا في اعتبارنا نوع الاشتراك
وأهميته ، بينما لا يوجد اشتراك عربي على الإطلاق وعلى أي
مستوى في معظم المصالح الحكومية . بل يصل الأمر الى حد

أنه لا يوجد عربي واحد مستخدم في المكتب الحكومي الخاص
بالشئون العربية !

وأخيرا ، لا يستطيع العرب أن يتمتعوا بحقوقهم الأولى في
المواطنة في بلدهم ، لأن هذا الحق مقيد بتمييز عنصري
قانوني . فبينما اليهودى يصبح ، بمقتضى قانون الجنسية ،
مواطن فور وصوله الى اسرائيل ، يخضع الأهالى العرب في
الدولة الصهيونية الى نظام خاص كى يحصلوا على الجنسية
الاسرائيلية ، ومن ثم يظل عرب اسرائيل يعانون الأمرين
نتيجة لعدم وجود جنسية لهم .

٢ - العنف والارهاب

لقد وجه الالتجاء المعتاد للقوة بصفة رئيسية الى العرب .
وجهته اليهم الأجهزة العسكرية وشبه العسكرية في دولة
المستعمرين الصهيونيين . ان وجود العرب فوق الأرض التي
يسيل لها لعاب الصهيونيين يشكل أوتوماتيكيا الهدف الأول
والاخير للعداوة الصهيونية . بيد أن هذا الاتجاه الى العنف
لم يقتصر على علاقات الصهيونيين بالعرب وحدهم . ففي نهاية
الانتداب الانجليزى - عندما بدأ يشعر التحالف الذى كان
قائما بين الامبريالية البريطانية والاستعمار الصهيونى ، وقد
أدى الغرض من قيامه ، بوادى التوتر الذى انتهى أخيرا الى
انفصامه - تحولت المنظمات شبه العسكرية والارهابية
الصهيونية (التى ساعدتها وأغضت بريطانيا العين عنها
خلال أحقاب كثيرة) الى الحامية البريطانية والسلطات المدنية
البريطانية في فلسطين . كما تحولت الاعمال العنيفة
الصهيونية ضد الشخصيات الدولية بعد بداية الاعمال

العسكرية بين العرب والصهيونيين في فلسطين بوقت قصير
ووصول وسطاء منظمة الأمم المتحدة ومراقبي الهدنة • وان
مقتل الوسيط الاول لمنظمة الأمم المتحدة وياوره ، والقضاء
القبض على مراقبي منظمة الأمم المتحدة تدل على أنه لا حصانة
لكل من يعترض طريق الصهيونية ، ولا منجاة له من الثأر
الصهيوني كائنا من كان هو ، ومهما كانت شخصيته •

بيد أنه من الواضح أن العنف الصهيوني ضد العرب
كان - ولا يزال - أطول امدا وأكثر منهجية وأشد قسوة من
جميع أنواع العنف الصهيوني التي وجهت ضد الآخرين من
غير العرب •

ولقد لجأت دولة المستعمرين الصهيونيين ، قبل ولادتها
وبعد ولادتها ، الى العنف ، كوسيلة اختارتها لبعث الخور في
نشوس عرب فلسطين واجبارهم على مغادرة وطنهم • وما المذابح
التي ارتكبتها في دير ياسين وعين الزيتون وصلاح الدين (في
ابريل ١٩٤٨) الا اجراءات متعمدة طبقا لبرنامج رسمي هدفه
اجبار العرب على ترك فلسطين خوفا من الارهاب •

وتوجه الدولة الصهيونية عنفها ، منذ قيامها ، في
الداخل والخارج : ضد العرب الواقعين تحت سيادتها ، وضد
الدول العربية المجاورة •

ولقد تعرضت مدن وقرى عربية في أرض فلسطين التي
يحتلها الصهيونيون لمذابح وأعمال شائنة أخرى ، مثل ماحدث
لايجريت (ديسمبر ١٩٥١) والطراح (يوليو ١٩٥٣)
وأبو غوش (سبتمبر ١٩٥٣) وكفر قاسم (أكتوبر ١٩٥٦)

وأكر (يونية ١٩٦٥) حيث جرت مذابح وأعمال نهب وسلب لا مثيل لها في بشاعتها ، كما أنها لا ضرب لها على اعتبار انها الحالات الوحيدة التي تجرؤ فيها دولة على أن تجعل من برنامج الكراهية العنصرية سياسة تقدم الحكومة على تنفيذها مستخدمة في ذلك جهازها الرسمي .

وجدير بنا أن نضيف الى ما سبق المذابح التي ارتكبت على نطاق واسع ضد السكان العرب في غزة وفي خان يونس خلال الفترة القصيرة - الزاخرة بالأحداث رغم ذلك - من الاحتلال الصهيوني للمنطقة ، في اطار الغزو الثلاثي الذي تعرضت له مصر عام ١٩٥٦ .

وربما تكون الاعتداءات العسكرية التي تتم على أراضي الدول العربية المجاورة ، والتي تنفذ طبقا لخطة موضوعة ، من أكثر المظاهر التي يعرفها الجميع ، والتي تدل على مسارعة اسرائيل الى اللجوء للعنف ، وذلك لأن عددا كبيرا من هذه الاعتداءات درس ونوقش بعمق في مجلس الأمن التابع لمنظمة الأمم المتحدة . والى جانب الحرب ذات المدى الواسع التي شنت على مصر عام ١٩٥٦ ، بالتواطؤ بين الاستعمار الصهيوني والامبريالية البريطانية والامبريالية الفرنسية ، والتي نددت بها الجمعية العامة في ستة قرارات ، تم التصديق عليها في الفترة الواقعة بين ٢ نوفمبر ١٩٥٦ و ٢ فبراير ١٩٥٧ ، كانت هناك اعتداءات أقل شأنا على حماء (ابريل ١٩٥١) وكيبا (أكتوبر ١٩٥٣) وغزة (فبراير ١٩٥٥) وحول بحيرة طبرية (ديسمبر ١٩٥٥ ومارس ١٩٦٢) ، اعتداءات أدانها مجلس الأمن على التوالي في ١٨ مايو ١٩٥١ ، و ٢٤ نوفمبر

١٩٥٣ ، ٢٩ مارس ١٩٥٥ ، ١٩٠ يناير ١٩٥٦ ، ٩ أبريل ١٩٦٢ . كما أن هناك اعتداءات أخرى ، لا يمكن ذكرها كل منها على حدة لكثرتها ، ولقد أدانت اللجان المختلفة المختصة للهدنة هذه الاعتداءات جميعها .

٣ - التوسع الاقليمي

لا يستطيع أحد أن يدرس خط سير الحركة الصهيونية وأسلوب عمل دولة المستعمرين الصهيونيين دون أن يلاحظ أنه إذا حدث في لحظة معينة أن عجزت الانجازات الصهيونية عن بلوغ الهدف المعين والذي ترمى الى بلوغه باستمرار الحركة الصهيونية ، فما ذلك الا لأنها مراحل مؤقتة وليست نقاطاً نهائية في المسيرة الصهيونية صوب التحقيق الذاتى النهائى الكامل لأهدافها جميعاً ، على الرغم من التأكيدات العلنية التى يطلقها الزعماء الصهيونيين والاسرائيليون على النقيض من ذلك . فمع أن زعماء الصهيونية الرسميين كانوا ينكرون مثلاً ، وبصورة مستمرة علنية من عام ١٨٩٧ حتى عام ١٩٤٢ أية نية فى الحصول على « وضع قومى » ، مبرزين أنهم لا يريدون سوى « مازى » ، تدل الوثائق الداخلية للحركة ومذكرات زعمائها بشكل واضح ، وعلى الرغم من الانكارات العلنية ، أن هدف الصهيونية كان باستمرار ودون أن يطرأ عليه أى تعديل الوصول الى وضع قومى (ان الهدف باقاة دولة صهيونية ، الذى اعترف به بشكل سافر ولأول مرة عام ١٩٤٢ ، أمكن بلوغه بعد ذلك بستة أعوام) .

وبنفس الطريقة ، وحتى عام ١٩٤٨ ، ظل زعماء الصهيونية يؤكدون باستمرار للعالم أجمع أن ليست لديهم

أية نية لتجريد عرب فلسطين من أملاكهم أو طردهم من وطنهم ، بيد أن هناك سيلا متدفقا من الدلائل يقطع بأن هؤلاء الزعماء كانوا يهدفون منذ أول الأمر الى صبغ فلسطين بالصبغة الصهيونية تماما والى تجريدها نهائيا من عربيتها ، وعندما حانت اللحظة السانحة فى عام ١٩٤٨ ، لم يضع الصهونيون وقتهم ، فطردوا العرب الى ما وراء الحدود .

وفيما يتعلق بهاتين المسألتين الحيويتين ، فان كل من درس الحركة عن كثب ، وجميع المراقبين القريبين منها يعرفون جيدا الاهداف الحقيقية للصهيونية . والواقع أن الخدعة الصهيونية القائمة على أساس انكار علنى لم تكن سوى ستار من الدخان يهدف الى حجب الاهداف الحقيقية التى لا تتغير ، حتى يمكن اكتساب الوقت ، وبذلك يتم تمهيد الأرض للعمل المراد القيام به فى اللحظة المرجوة .

ان التوسع الاقليمى يشكل العنصر الثالث للمخطط الصهيونى . وفى هذا المجال أيضا ، استخدمت الصهيونية خدعتها المضللة ، وهى الانكار العلنى ، حتى يمكنها اخفاء نواياها الحقيقية . ولا يختلف هذا العنصر الثالث عن العنصرين السابقين (وهما تحقيق الوطن القومى وطرد العرب) الا فى هذه النقطة : بينما هذان الهدفان قد تحققا وانتزع القناع فى نهاية الأمر ، فان الهدف الثالث (وهو التوسع الاقليمى) يظل متحققا جزئيا ويظل الحجاب مرفوعا جزئيا .

لقد كان الهدف المستمر للملح للصهيونية - ولا زال - بناء دولة فى فلسطين كلها (يسميها الصهونيون « ايريتز اسرائيل » أو أرض اسرائيل) خالية تماما من العرب .

والتحديد الأدنى للمساحة الأرضية لفلسطين ، كما تتصورها الصهيونية ، تم التصريح عنه رسميا في عام ١٩١٩ . انها تغطي زهاء ضعف المساحة الحالية التي تحتلها دولة المستعمرين الصهيونيين . وتتضمن - طبقا للتعبير الجغرافي الحالي - مملكة الأردن (على شاطئ نهر الأردن) و « أرض غزة » ، والجزء السفلى من لبنان ، والجزء الجنوبي والجنوبي الغربي من سوريا ، هذا الى الأجزاء الحالية من فلسطين التي يحتلها الصهونيون . ومع ذلك ، فان هذه المساحة لا تزال أقل من المساحة الأرضية ، التي حددت طبقا لعبارة التوراة الشهيرة من النيل الى الفرات ، وهي الأرض التي يطالب باستردادها الصهونيون « المتطرفون » على اعتبار انها ارضهم القومية . فهل ياترى قد قنعوا الآن بالمضمون الصهيوني في المساحة الأدنى ، متخذين من فلسطين قاعـدة حقيقية للمخطط الصهيوني ، تاركين الباب مفتوحا على مصراعيه لتوسع اقليمي صهيوني مقبل ؟ ذلك لأن سيطرة المستعمرين الصهيونيين تغطي في الوقت الحالي نصف هذه المساحة الأدنى التي يسهل لها اللعب . (انظر الخريطين المرفقتين) .

* * *

وأثبتت دولة المستعمرين الصهيونيين مرتين منذ انشائها أنها فيما يتعلق بالمساحة الأرضية تتبع نفس أسلوب العمل ، الذي اتبعته بنجاح خلال الأعوام الخمسين السابقة الحركة الصهيونية من أجل بناء الدولة وطرد العرب :

١ - أولا ، في عام ١٩٤٨ وبداية عام ١٩٤٩ ، كانت الدولة الصهيونية تحتل مناطق لم تخصص « للدولة اليهودية »

كما حددت ذلك توصية الجمعية العامة بشأن تقسيم فلسطين ، وأكدت المنظمة الصهيونية بعد ذلك ببضعة شهور أمام الجمعية العامة أنها قانعة بالأراضي التي « تركت » للدولة اليهودية « المشار إليها » .

٢ - وبعد ذلك ، حوالى نهاية أكتوبر وبداية نوفمبر ١٩٥٦ ، انتهز الشريك الصهيونى فى مؤامرة العدوان الثلاثية فرصة انهماك الجيش المصرى فى الدفاع عن مصر ضد قوى الغزو البريطانى الفرنسى ، فغزا هو الآخر « أرض غزة » وبضعة أجزاء من شبه جزيرة سيناء . ثم رفضت الدولة الصهيونية الطلبات المتكررة ، التى وجهتها إليها خلال أربعة شهور منظمة الأمم المتحدة بالانسحاب الفورى ، متعللة بأن الأراضي الفلسطينية والمصرية التى ضمت إليها جزءا من « الوطن التاريخى » و « الارث القومى » الصهيونيين .

لقد دلت دولة المستعمرين الصهيونيين ، لا بأفعال شائنة فحسب ، وإنما بتصريحات مشؤمة أيضا ، على نيتها فى الاستحواذ فى اللحظة السانحة على أراضى جديدة تمتد داخل حدود ما تزعم هى أنه يمثل وطنها القومى . ولقد أعلن رسميا دافيد بن جوريون ، رئيس وزراء الدولة الصهيونية المنخسرم ، فى مناسبتين على الأقل ، وفى وثيقتين حكوميتين رسميتين أن الدولة خلقت فى « جزء من بلدنا الصغير » (١) ،

(١) دولة اسرائيل ، الكتاب السنوى للحكومة ، ٥٧١٢ (١٩٥١ - ١٩٥٢) المقدمة ، صفحة ١ (بالانجليزية)

وفى « جزء من أرض اسرائيل » (١) . ولقد أعلنت الدولة نفسها أن « خلق الدولة الجديدة لا يلحق بأى حال من الأحوال افتياتنا بالأمل الذى نرنو اليه متمثلا فى (الأريتز) الأرض الاسرائيلية التاريخية » (٢) .

* * *

ونظرا لخط السير المستمر للحركة الصهيونية ، ونظرا أيضا للمفهوم التقليدى الصهيونى للمساحة « للأرض الاسرائيلية » ، الذى تتضمن الرواية « المعتدلة » بشأنه نفسها مساحة تبلغ ضعف المساحة الحالية التى اغتصبتها الدولة الصهيونية ، ونظرا للتحذيرات الواضحة التى ردها أكثر زعماء الصهيونية صراحة وأشدّهم نفوذا فيما يتعلق بأن الدولة الصهيونية لم تتدخل عن قرارها بالاستيلاء على أراض عربية جديدة . نظرا لكل ما سبق ، يصبح من الهذيان أن نفعل مثلما تفعل النعامة ، وأن نظن أن الصهيونية سوف تقنع بما حصلت عليه ولن تتملك سوى جانبا من الأرض التى تزعم أنها « ارضها القومى » ، والتى عقدت النية على احتلالها مهما كان الثمن .

ومن بين العناصر الجوهرية الثلاثة للبرنامج الصهيونى:

(١) دولة اسرائيل ، الكتاب السنوى للحكومة ، ٥٧١٣ (١٩٥٢) المقدمة ، صفحة ١٥ (بالانجليزية)

(٢) دولة اسرائيل ، الكتاب السنوى للحكومة ، ٥٧١٦ (١٩٥٥) ، صفحة ٣٢٠ (بالانجليزية) .

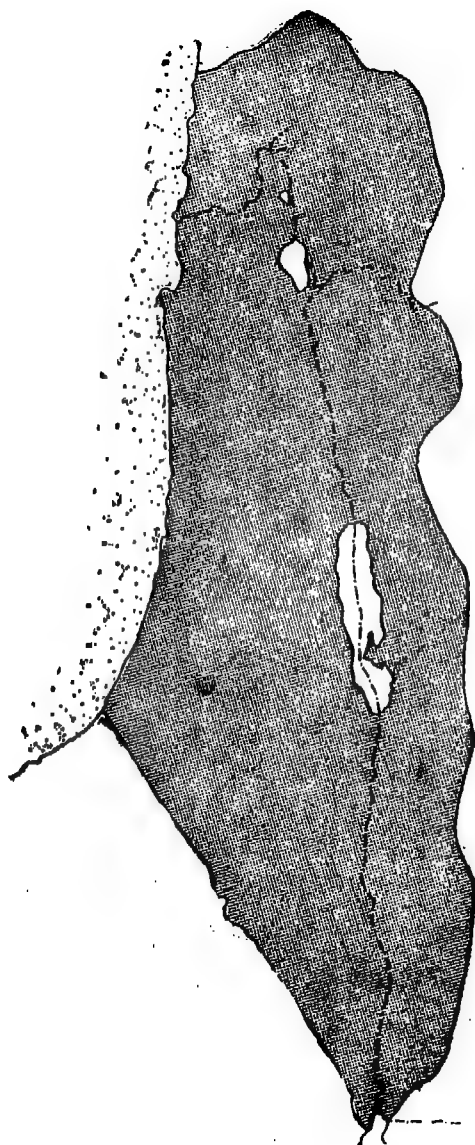
التفرقة الذاتية العنصرية في الدولة الصهيونية ، والاستثناء
العنصرى وطرد العرب ، واحتلال جميع ما يسمى بـ « ايريتز »
أرض اسرائيل ، فان العنصر الثالث وحده هو الذى لم يزل
غير متحقق • وهذا هو « العمل الذى لم يتم » للصهيونية •
غير ان ذلك العنصر لن يلبث حتى يصبح الشغل الشاغل فى
المستقبل للحركة الصهيونية وللدولة الصهيونية •

والواقع ، أن وجود دولة المستعمرين الصهيونيين لايعنى
بالنسبة اليهم سوى الاعداد والنضال من أجل التوسع
الاقليمى •





هذه الخريطة توضح الأراضي الفلسطينية التي يحتلها حاليا الاستعمار الصهيوني ..
وبمقارنتها بالخريطة في الصفحة: المقابلة يتضح مدى الأهداف التوسعية التي يسعى
الى تحقيقها حكام هذه الدولة المغطفة بمساعدة الامبريالية العالدة وخاصة مساندة
الولايات المتحدة الامريكية ..



رد فعل الفلسطينيين

من المقاومة الى التحرير

أمام التهديد الصهيوني ، كان هناك رد رفعل لشعب فلسطين مر بخمس مراحل :

١ - أولا : عندما أخذ الصهونيون يدخلون فى أعداد قليلة نسبيا مبرزين الدوافع الدينية والانسانية لمشروعهم ، مخفيين الطابع السياسى والايدىولوجى والعنصرى والاستعمارى لحركتهم - ظن عرب فلسطين أن الوافدين ما هم الا مجرد « حجاج » يحفزهم شعور دينى عارم من أجل الأرض المقدسة ، وخيل اليهم أنهم « لاجئون » هربوا من الاضطهاد الذى اصطلوا بنساره فى أوروبا الشرقية يبحثون عن مأوى فى فلسطين . ومن ثم رحب العرب الفلسطينيون ترحيبا حارا بالوافدين : ولقد لاحظ هرتزل نفسه « شعور السكان الودى » (١) تجاه الموجة الأولى من المستوطنين الصهاينة .

(١) « مؤتمر بال » برلين سنة ١٩٢٠ ص ١٦٤ وقد ذكر فى كتاب رابينوفيتش ، أوسكار وعنوانه : « خمس سنوات من الصهيونية » المطبوع فى لندن ، روبير آنسكومب وشركاه ، سنة ١٩٥٠ ، ص ٣١ .

٢ - وعندما بدأت تندفق موجة الاستعمار الصهيوني الثانية على شواطئ فلسطين وذلك بعد بدء الحركة الصهيونية الجديدة سنة ١٨٩٧ (وعلى وجه التحديد ابتداء من ١٩٠٧ - ١٩٠٨) بدأت تنتاب العرب مشاعر الريبة والشك . فقد أثارت عمليات طرد المزارعين والعمال والحراس العرب من المستعمرات الصهيونية الجديدة ومقاطعة الانتاج العربى غضب العرب . ومع ذلك فقد ظلت المطامع والأهداف السياسية والقومية للمخطط الصهيونى محجوبة عن أنظار العرب ، بل ان ما أثار غيظ العرب هو ذلك النفوذ المباشر للوجود الصهيونى الذى أثر على العرب تأثيرا مباشرا بما كان يقوم من أعمال صهيونية محضه ومن تفوق عنصرى . ومع ذلك فنظرا لأن الاستعمار الصهيونى كان لا يزال يكتفى بمزاولة أعماله على نطاق ضئيل ومتواضع فقد ظل العداء الذى كان يثيره ينتشر على مستوى محلى الى حد ما .

* * *

٣ - وقد كان من شأن التحالف بين الامبريالية البريطانية والاستعمار الصهيونى الذى تأكد باعلان بلفور الصادر فى الثانى من نوفمبر سنة ١٩١٧ ثم باستيلاء الانجليز على القدس فى التاسع من ديسمبر سنة ١٩١٧ أن تفتحت أخيرا عيون العرب على حقيقة ما كان يجرى . وقد أيقنوا أنه اذا ما ترك للصهيونية حرية التصرف لكانت عملية طرد الأهالى من مساكنهم وأراضيهم هى أهون الأضرار التى يمكن أن ينتظروا وقوعها . وقد تبين للجماهير الفلسطينية بغريزتها بأن الأحداث التى كانت تدور حينئذ هى نذير سوء . وقد ظلت فلسطين خلال ثلاثين عاما مسرحا لمقاومة عربية دائبة

ومستمرة ضد التحالف الانجليزى - الصهيونى • وقد كانت
أشد فترة من فترات المقاومة هى التى امتدت من سنة ١٩١٧
الى سنة ١٩٤٨ •

ومع ذلك لقد هدأت بشكل مؤقت التأكيدات البريطانية
التي صدرت سنة ١٩١٨ من حالة القلق والفرع التي نشأت
اثر صدور تصريح بلفور • وقد أكدت الحكومة البريطانية
للعرب فى اعلان رسمى لها صدر يوم ١٦ يونيو سنة ١٩١٨
بأنه بالنسبة للأراضى التي احتلتها الجيوش المتحالفة « يجب
أن تقوم الحكومة المستقبلية التي تتولى الحكم فيها على مبدأ
رضى وموافقة الأهالى الواقعين تحت هذا الحكم وأن هذه هى
السياسة التي ستنهجها حكومة صاحب الجلالة بصفة
دائمة » (١) • ثم صدر تصريح فرنسى - انجليزى قبل الهدنة
بأربعة أيام فقط (أى على وجه التحديد فى اليوم السابع من
نوفمبر سنة ١٩١٨) وعمل على نشره على نطاق واسع وهو
يعلن للعرب فى سوريا والعراق وفلسطين بأن الحليفتين قد
عقدتا النية على : « تشجيع ومعاونة اقامة حكومات وطنية من
أهالى البلاد أنفسهم » وعلى « الاعتراف بهذه الحكومات بمجرد
اقامتها بشكل فعلى » (٢) وقد انكشفت بسرعة ما تضمنه
هذه التصريحات من غش وخداع كان من شأنهما فى ذلك
الحين أن يهدئا من روع ومخاوف شعب فلسطين •

(١) نص من كتاب : أنطونيوس ، جورج « نهضة العرب »
بيروت ، خياط ، ١٩٥٥ ، صفحتى ٤٣٣ و ٤٣٤

(٢) نفس الكتاب صفحتى ٤٣٥ و ٤٣٦

وفى بداية سنة ١٩١٩ كانت جميع الأنظار تتجه نحو باريس ، وكانت الآمال معقودة على مؤتمر السلام لى يحل المتناقضات التى تضمنتها وعود الحلفاء أثناء الحرب ويفتح عهدا جديدا طالما كان تاريخ العالم يتوق اليه بحيث يكون هذا العهد قائما على مبدأ تقرير المصير القومى كما عبر عنه بشكل مظهرى الرئيس ويلسون . الا أن الآمال قد خابت واستمر تدفق المستعمرين الصهيونيين - وكانت حركة التدفق قد هدأت حدتها أثناء الحرب - وتحركت من جديد مخاوف العرب بل ان المقاومة العربية قد اشتدت وكان عليها أن تواجه خطرا مزدوجا : طول فترة الاحتلال البريطانى من ناحية ثم انتشار عملية الاستعمار الصهيونى من ناحية أخرى .

* * *

وقد عبرت للمرة الاولى الارادة العامة لشعب فلسطين عن المعارضة العربية الفلسطينية ضد ذلك التحالف الانجليزى - الصهيونى بما قامت به من نشاط دبلوماسى لوفود تمثلها وبما أصدرته من تصريحات جماعية .

وقد تبين للجنة الامريكية كينج - كرين المشاعر الحقيقية لشعب فلسطين . وقد أوضحت ذلك فى تقريرها الصادر فى ٢٩ أغسطس سنة ١٩١٩ والذى يقول : « ان الشعب غير اليهودى فى فلسطين - وهو يمثل تسعة أعشار مجموع السكان - يعارض بشكل قاطع كل مخطط صهيونى . ان شعب فلسطين لا يوافق بتاتا على أية نقطة أخرى بنفس الشدة التى لا يوافق فيها على هذا المخطط » (١) .

(١) نفس الكتاب السابق ذكره ص ٤٤٩

وقد تأيد الحكم الذي أصدرته هذه اللجنة بالقرارات التي أصدرها المؤتمر السوري العام والذي كان يضم ممثلين عن شعوب فلسطين ولبنان وسوريا . فقد اتخذ هذا المؤتمر في الثاني من يولية سنة ١٩١٩ قرارا اجماعيا يعلن فيه ما يأتي :

« نعارض أى مزاعم صهيونية تهدف الى خلق كومونولث يهودى فى الجزء الجنوبى من سوريا أى فى فلسطين . كما اننا نعارض عملية التهجير الصهيونية فى أى جزء من بلادنا لأننا لا نعترف لهم بهذا الحق ونعتبرهم خطرا شديدا يهدد شعبنا على الصعيد القومى والاقتصادى والسياسى . وسيتمتع مواطنونا اليهود بنفس شريعتنا العامة ويتحملون معنا المسئوليات المشتركة » (١) .

وقد أصدرت جميع الاجتماعات والتجمعات العربية الفلسطينية التى عقدت خلال سنوات الاحتلال البريطانى لفلسطين تصريحات مشابهة ترفض الصهيونية رفضا باتا . ولم تعبر مجموعة واحدة عربية فلسطينية ولا مؤتمر واحد عربى فلسطينى مرة واحدة عن قبول الاستعمار الصهيونى . كان بشكل جزئى أم بشكل مقيّد .

أما هذه المشاعر التى عبر عنها الفلسطينيون بدون أى لبس أمام لجنة كينج - كرين فى سنة ١٩١٩ فقد عبرت عنها أيضا وببنفس القوة والاصرار كل لجنة فلسطينية أتيح لها أن

(١) نفس الكتاب السابق ذكره ص ٤٤١

تمثل أمام حكومة الاندباب وأمام لجانه العديدة ثم أمام عصبة الأمم وأمام منظمة الأمم المتحدة .

* * *

ولم تكن هذه الاحتجاجات مهما بلغت من شدتها باعتبارها تعبيراً عن الارادة القومية هي وسائل المقاومة الوحيدة التى لجأ اليها العرب الفلسطينيين .

ففى شهر مارس سنة ١٩٢٠ اندلعت الحرب المسلحة فى شمال فلسطين بين القرويين العرب وبين المستعمرين الصهيونيين ، وفى اشهر ابريل سنة ١٩٢٠ دار الكفاح بين العرب والصهيونيين فى مدينة القدس نفسها . وقد تبعت هذه المعارك تلك الفتن التى قامت سنة ١٩٢١ و ١٩٢٩ و ١٩٣٣ وحركة التمرد التى سادت البلاد فى سنة ١٩٣٦ والتى اندلعت ثانية سنة ١٩٣٧ واستمرت حتى بداية الحرب العالمية الثانية فى سنة ١٩٣٩ . أما منذ شهر ديسمبر سنة ١٩٤٧ حتى انسحاب بريطانيا وعلان مولد دولة المستعمرين الصهيونيين فى مايو سنة ١٩٤٨ فقد خاض العرب الفلسطينيين معركة حياة أو موت وذلك ضد الحامية البريطانية وفى نفس الوقت ضد المستعمرين الصهيونيين .

لقد رفض الفلسطينيون العرب بكل اصرار الاستعمار الصهيونى كما أنهم بذلوا الكثير من التضحيات الشخصية من أجل الدفاع عن حرمة وطنهم وامتد هذا الدفاع المرير طيلة ثلاثين عاماً . وقد أثبت بكل وضوح جميع الفلسطينيين بجميع طبقاتهم الاجتماعية - بالقول وبالفعل - بالتصريحات التى أصدروها وبالدماء التى بذلوها رخيصة - اخلاصهم

لحقوقهم القومية ومعارضتهم بدون أى تحفظ لعملية الصهيينة
التي كانت تجرى فى بلادهم وعلى أرضهم *

* * *

أما بالنسبة للوسائل التي استخدمها الفلسطينيون
للتعبير عن معارضتهم للتحالف القائم بين الاستعمار الصهيوني
والامبريالية البريطانية فى الفترة الممتدة من سنة ١٩١٧ حتى
سنة ١٩٤٨ فهي لم تكثف بما كانت تصدره من تصريحات
وتقوم به من حركة تمرد وعصيان • لقد أطلق عرب فلسطين
كلمة « لا » القاطعة فى وجه بناء الامبراطورية وفى وجه
المستعمرين العنصريين مستخدمين فى ذلك وسائل شعبية
ولكنها أكثر ضراوة من سابقتها وتكلف كثيرا •

عندما بلغت حركة العصيان والتمرد التي قامت سنة
١٩٣٦ ذروتها قام شعب فلسطين بحركة تمرد مدنى تخريبي
صاحبته حركة اضراب عام استمرت ١٧٤ يوما (وقد تكون
أطول فترة اضراب قومى عرفها التاريخ) وقد شملت هذه
الحركة جميع مجالات الأعمال والمواصلات والأجهزة الحكومية
التي كان يديرها العرب • وقد استمر الفلسطينيون - رجال
وسيدات - فى اضرابهم على رغم كل ما كلفهم ذلك كما أنهم
قاوموا جميع الجهود التي بذلتها حكومة الانتداب لانهاء هذا
الاضراب • ولم ينته بالفعل الا بعد أن تدخل حكام الدول
العربية المجاورة التي وعدت المضربين بالقيام بمفاوضات عربية
جماعية مع الحكومة البريطانية من أجل معالجة آثار العمليات
التعسفية التي ارتكبت ضد العرب الفلسطينيين •

وهناك اجراء آخر اتخذ وكان أهم من الاجراء السابق ذكره وهو السلاح الوحيد الذى بقى فى أيدي العرب الفلسطينيين لاستخدامه فى كفاحهم ضد عملية صهيونية فلسطين . وهذا السلاح هو الاشراف على عملية بيع الأراضى ذلك لانهم لم يكونوا يمتلكون أية سلطة للحيلولة دون تهجير المستعمرين الصهيونيين الى فلسطين ومع ذلك فقد كان لديهم بعض السلطة على عملية بيع الأراضى لهؤلاء المستعمرين . وهكذا نرى أن الفلسطينيين قد استخدموا هذا السلاح بدون هوادة خلال فترة الانتداب البريطانى .

وتشير الوثائق التاريخية الى أن عملية حسمول الصهيونيين على الأراضى خلال فترة الثلاثين عاما التى استمر فيها الاحتلال البريطانى واستمر معه تشجيع الاستعمار الصهيونى لم تسر الا بخطى بطيئة للغاية لأن العرب كانوا يرفضون باصرار بيع أرضهم للمستعمرين وذلك على رغم أن سلطة الانتداب كانت قد سمحت للصهيونيين بمضاعفة عدد السكان اليهود اثنى عشرة ضعفا عما كان عليه عددهم سنة ١٩١٧ وعلى رغم أن نسبة عددهم الى العدد الاجمالى للسكان قد بلغ الثلث . وتشير الاحصائيات التى قامت الحكومة البريطانية بنشرها أن مجموع المساحة التى استتاع الصهيونيون الحصول عليها منذ سنة ١٩٢٠ أى منذ الوقت الذى بدى فيها بعمل سجلات عقارية حتى فترة طرد العرب من أراضيهم كانت تقل عن ٤٪ من جملة مساحة الأراضى الفلسطينية (١) .

(١) المساحة الخاصة بفلسطين : القدس - مطبعة الحكومة ، ١٩٤٦ ، ص ٢٤٣ (الفقرة ٥٢٠)

وجدير بالذكر أن من بين هذه الأراضى التى حصل عليها الصهيونيون يوجد جزء قد بيع لهم من ملاك غير فلسطينيين وغير مقيمين فيها كما أن جزءاً آخر قد نقلت الحكومة البريطانية نفسها ملكيته الى بنك الاستعمار الصهيونى (وكان هذا الجزء يضم الممتلكات العامة لشعب فلسطين وكانت ودیعة فى أيدي سلطة الانتداب) وقد صرح فى الواقع أحد الناطقين الرسميين باسم الوكالة اليهودية أمام لجنة بريطانية بأن : « الأراضى التى قام اليهود بشرائها ، ، ، لم تكن سوى مساحات صغيرة نسبياً تم شراؤها من بعض الفلاحين ويبلغ مجموع هذه المساحات ١٠٪ فقط من مجموع المساحات التى حصل عليها اليهود فى فلسطين خلال فترة الانتداب » (١) .

* * *

٤ - وفى سنة ١٩٤٨ نزع ملكية الشعب العربى الفلسطينى بالقوة وطرد معظم الفلسطينيين من بلدهم . ولم تنجح المقاومة الصلبة التى قاموا بها والتضحيات الهائلة التى بذلوا خلال ثلاثين عاماً فى تفادى الكارثة القومية التى أصابتهم .

« ومع ذلك فلم تذهب تلك التضحيات سدى . ذلك لأنها حافظت على حقوق الفلسطينيين القومية وأبرزت شرعية مطالب العرب لميراثهم القومى . فالحقوق التى لا يدافع المرء عنها هى حقوق متنازل عنها . وإذا ما قبل المرء ذلك دون

(١) الكتاب الأزرق البريطانى : وهو المعروف باسم « تقرير شو » ص ١١٤ .

معارضة تتخذ عملية الاغتصاب الصفة الشرعية بحكم غيابي .
ولن تستطيع الاجيال الفلسطينية المقبلة أن تتهم الجيل
الفلسطيني الذي عاش قبل الحرب بأنه أضاع تراثه الوطني .
لقد كان مصيره الفشل ولكن - والحق يقال - فإن هذا الجيل
لم يفشل لأنه لم يخض المعركة ، نعم ، لقد طرد حقا من دياره
ولكنه لم يكف لحظة عن الدفاع عن ميراثه » .

ولم يصف شعب فلسطين صفة الشرعية غير المستحقة
على الاستعمار الصهيوني في فلسطين وذلك باعتباره بهذا
الامر « كامر واقع » . كثيرون كانوا هؤلاء الذين يدعون أنهم
مستشارو « المذهب الواقعي » والذين أخذوا يحشون
الفلسطينيين على الاعتراف « بالوضع الجديد » في فلسطين
وعلى قبول نفيهم عن ديارهم « عن طيب خاطر » . وكثيرة
كانت تلك العروض المغرية بالمعونة الاقتصادية من أجل
« ادماج » أو « استيعاب » الفلسطينيين خارج فلسطين .
إلا أن الشعب الذي ظل بأسلاطه ثلاثين عاما في وجه
السلطة المشتركة التي كانت تفرضها عليه الامبريالية
البريطانية والاستعمار الصهيوني وقد رفض فيما بعد السماح
بأن يتم الاستيلاء على أرضه وممتلكاته وأن تبعثر أشلائه
ليكسب روحه ونفسه استطاع أن يقاوم هذه النداءات المغرية
المضلة .

« لقد ظلت دولة المستعمرين الصهيونيين دولة غاصبة
ولم تستطع الحصول على ظل من الشرعية ، ذلك لأن الشعب
الفلسطيني ظل آمينا على ميراثه وآمينا على حقوقه » .

٥ - وعلى رغم جميع ما تكبد من آلام وبؤس لم يكف

الشعب الفلسطيني عن الايمان الكامل بمستقبله ، ويعلم
شعب فلسطين أن الطريق المؤدى لهذا المستقبل هو تحرير
وطنه » •

فبنفس هذه العقيدة وبعد ست عشرة عاما من النفي
والتشتيت والتي ركن خلالها الى الضمير العالمى والى الراى
العام الدولى أكان داخل الأمم المتحدة أم لدى الدول العربية
لاستعادة وطنه السليب - اختار أخيرا أن يقوم بنفسه بهذه
المبادأة • ففي سنة ١٩٦٤ أكد استمرار كيانه بإنشاء منظمة
التحرير الفلسطينية •

ان تحرير فلسطين وحده بأيدي الفلسطينيين المستعدين
لدفع هذا الثمن هو العمل الذى سيبرر تلك التضحيات
العظيمة التى بذلتها الأجيال الفلسطينية السابقة وهى التى
ستحقق آمال الفلسطينيين الذين لا يزالون على قيد الحياة •

الخاتمة

تحرير فلسطين

يعتبر حق « التحرير القومى » امتدادا لحق « الدفاع
الذاتى القومى » وهو حق لم يكتف ميثاق الأمم المتحدة بتأييده
بل اعتبره بموجب أحكام هذا الميثاق نفسه حقا « ملازما »
و « ثابتا » و « غير قابل للتغيير » (١) • وإذا كان استمرار
امتلاك المكاسب الناتجة عن العمليات الهجومية تعادل استمرار

(١) ميثاق الأمم المتحدة ، المادة ٥٤

هذه العمليات نفسها فإن تحرير الأراضى التى تم سلبها عن طريق العدوان يعتبر استمرارا للحق الطبيعى فى مقاومة العدوان الاصلى • فالتحرير والدفاع عن النفس هما وجهان لنفس الحق الثابت •

وقد أصبح حق التحرير القومى حقا يكاد يكون معترفا به على الصعيد العالمى • ولم تعد سوى النظم الامبريالية والاستعمارية المتطرفة هى التى لا تزال تذكر المبدأ الخرافى الخاص بحصانة الممتلكات التى سبق الاستيلاء عليها بعدوان مضى ولا يزال مستمرا وذلك على أمل وقف عملية تصفية الاستعمار قبل أن تفرق المياه المتدفقة من حركات التحرير القومى نظمها العتيقة •

* * *

ولا تقف مزاولة حق التحرير القومى عند حد المواقف التى تخضع فيها السيطرة الأجنبية شعبا ما لسيطرة شعب آخر أو تلك المواقف التى يستغل فيها شعب ما ثروات شعب آخر بكل بشاعة وأنانية • ذلك لأن هذا الحق يمتد أيضا — وأول كل شئ — الى هذه المواقف التى يخضع فيها اقليم شعب ما لسيطرة شعب آخر بعد أن يكون هذا الأخير قد طرد منه بالقوة أبناءه وأصحابه الشرعيين •

وتتضمن مأساة فلسطين المصيرية جميع هذه العناصر مجتمعة : السيادة الأجنبية ، الاستغلال ، نزع الملكية بل وتتضمن عناصر أخرى كثيرة • فالاقليم الفلسطينى واقع بالفعل تحت السيطرة الأجنبية • كما أن موارده يستغلها الآخرون • ولقد نفى شعبه ويثن باقى هذا الشعب تحت نير

نظام من التفرقة العنصرية والقمع العنصرى الذى يفوق فى ضراوته النظم العنصرية السائدة فى قارتى آسيا وإفريقيا . وقد تم كل ذلك فى ظل الارهاب والعنف وبالتواطؤ مع الامبريالية . ولم يستطع أى وجه من الأوجه المتعددة لهذا الأمر الواقع أن يكتسب صفة الشرعية من قبل شعب فلسطين أو حتى من قبل أية مجموعة صغيرة من هذا الشعب .

* * *

وفى تصميمه على المضى فى هذا الطريق الشاق وهو طريق التحرر القومى يستمد الشعب الفلسطينى قوته وشجاعته من ايمانه بعدالة قضيته وهى التى عبرت عنها فى مناسبات عديدة الشعوب المحررة حديثا وذلك خلال جلسات المؤتمرات الدولية المتعاقبة . فمن باندونج الى أكرام ومن الدار البيضاء الى بلغراد ثم التعبير بكل وضوح عن الايمان فى عدالة قضية الفلسطينيين العرب . وفى المؤتمر الثانى لرؤساء دول حكومات البلاد غير المنحازة أعلنت هذه الدول « تأييدها التام المطلق للشعب العربى الفلسطينى فى كفاحه من أجل تحرره من الاستعمار والعنصرية » . وهكذا عبر رؤساء الشعوب التى لا تزال تذكر تجاربها المريرة مع الامبريالية والاستعمار ومع العنصرية حماسهم وعطفهم نحو آلام الشعب الفلسطينى وآماله وهو الشعب الذى لا يزال يئن من هذه الآلام ومن تشتت أبنائه وفقدان ملكياتهم . ومن شأن مثل هذا العطف أن يزيد من ايمان الفلسطينيين العميق فى احراز النصر النهائى الذى يحقق لهم العدالة والحرية والكرامة الانسانية على أرضهم .

وعلى رغم أن المشكلة الفلسطينية لم تصب بشكل مباشر

سوى الفلسطينيين أنفسهم الا أن هذه المشكلة لا تمسهم وحدهم •

ان دولة المستعمرين الصهيونيين باتجاهاتهم التوسعية تعتبر أيضا تهديداً لأمن وسلامة أراضي الدول العربية بأسرها • فقد اعتدت على أراضيها وهي تتوق أيضا الى غزو أراضيها •

وتعتبر هذه العملية الاستعمارية التي ازدهرت بكل ظلم واجحاف في نفس الوقت الذي بدأ الاستعمار فيه يختفي من الوجود تحديا « لجميع البلاد المناهضة للاستعمار في قارتي افريقيا وآسيا • ذلك لأن قضية مناهضة الاستعمار والتحرير هي في نهاية الامر قضية واحدة لا تتجزأ » •

فباعتباره نظام عنصري تحركه وتغذيه العقائد التي تنادى بالتفرقة العنصرية الذاتية وبالعنصرية المطلقة وبالتفوق العنصري وباعتبار أن هذا النظام يعبر عن عقائد التفرقة العنصرية والقمع والتي يمارسها بدون هوادة لذلك فان النظم السياسية التي خلقها المستعمرون الصهيونيون في فلسطين لا يمكنها الا أن تعتبر تهديدا لجميع الرجال المتمدنين الذين وهبوا حياتهم للحفاظ على الكرامة الانسانية ولرفع شأنها • « فحينما تمس كرامة انسان واحد بموجب قانون العنصرية تعتبر هذه اهانة بالغة القسوة قد ارتكبت في حق سائر البشر جميعهم » •

مطبعة أطلس
١١ ، ١٣. شارع سوق التوفيقية-القاهرة



Bibliotheca Alexandrina
مكتبة الإسكندرية



0222464

قامت بالنشر السكرتارية الدائمة
لنظمة تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية
٨٩ عبد العزيز آل سعود - منيل الروض
القاهرة - ج ٠ ع ٠ م